أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
7 يوليو 2025
13 محرم 1447م
العدد 35

«العطش الذي يسكن المطر»

تهطل السماء بسخاء، لكن الأرواح يابسة، ليس النُدرة ما يؤلم، بل الوفرة التي لا تصل.

الدبة.. نبوءة بلدٍ يتفسّخ

ما حدث في مدينة الدبة مساء الخميس 3 يوليو 2025 ليس «اشتباكًا محدودًا» كما توهّمت لجنة الأمن، ولا مجرد «تفلت فردي» بين شباب من قبيلتين. ما حدث هو علامة من علامات انهيار الدولة، وجرس إنذار أخير بأن السودان، إن لم يُنتشل الآن، فهو يسقط سريعًا وبلا قاع نحو مصير «دولة العصابات»، حيث السلاح سيد الموقف، والجيش راعٍ للفوضى، والكيزان هم العقل المدبّر لكلّ هذا الخراب.

أربعة قتلى في ساعات. عددٌ كافٍ لإعلان الطوارئ في أي بلد طبيعي، لكن في السودان، الذي صارت فيه حياة الناس رخيصة، يكفي بيان بارد من لجنة أمن تسيطر عليها عقلية أمنية تسمّي المذبحة «تفلتًا»!.

بيان لجنة الأمن بمحلية الدبة، رغم محاولاته البائسة لتلطيف الفاجعة، يعترف اعترافًا خطيرًا: الاشتباك وقع داخل المدينة، والقوات النظامية تدخلت بعد سقوط القتلى، والطوق الأمني لم يُفرض إلا بعد الكارثة. منطق مقلوب، وسلطة غائبة، وأجهزة أمنية لا ترى إلا حين تشبع الأرض دمًا.

لكن فلنُسَمّ الأمور بأسمائها:

هذه الدماء ليست «عارضة»، بل هي نتيجة مباشرة لحرب عبثية فجّرتها المؤسسة العسكرية بتحريض كيزانيّ مفضوح. هم من سلّحوا القبائل، وهم من وزّعوا الموت على قارعة الطريق، وهم من جرّوا الجيش من مهمته الوطنية إلى مستنقع السياسة والمكاسب الشخصية.

لقد صار السودان اليوم بلا جيش حقيقي، ولا شرطة حقيقية، ولا دولة بالمعنى الكامل للكلمة. الجنود ينهبون في نقاط التفتيش، المليشيات تجوب الطرقات، والسلاح صار سلعة شعبية. ما حدث في الدبة هو ما يحدث يوميًا في القرى والمزارع والأسواق، والفرق الوحيد أن البيان هناك لا يصدر.

أما الكيزان، عرّابو هذه الفوضى، فيرقبون المشهد بابتسامة خفية. يزدادون تغلغلاً في أجهزة الدولة، وفي مفاصل الجيش، وفي المنابر الإعلامية، ويروّجون لفكرة أن الحرب «ضرورة وطنية» وأن تفكك الدولة هو ثمن «التطهير».

من أشعل الحرب، ومن سلّح المجتمع، ومن فخّخ المؤسسات، ومن غرس الأحقاد، هو نفسه الذي يسعى اليوم لتقسيم السودان إلى كنتونات، كل واحدة تديرها عصابة باسم قبيلة أو جهة أو ولاء أيديولوجي.

ولهذا نقولها بوضوح لا يقبل اللبس:

إنْ لم يُحاصر مشروع الإسلاميين الآن - فكريًا وسياسيًا وأمنيًا - فإن السودان لن يُهزم من الخارج، بل سيتمزق من الداخل بأيديهم.

سيُفتّت إلى دويلات، وتُقسم مدنه إلى معازل طائفية وقبلية ومسلّحة، وستنتهي فكرته كدولة موحّدة.

ويومها... لن ينفع عضُّ أصبع الندم.

آفاق جديد
أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

وجهات نظر

على حافة الافق
عقل الحرب (المجد البندقية) (4)
د. صلاح عمر
7-8

حرب الصور، وعذابها
د. وجدي كامل
11-13

مخاطر جسيمة تتهدد الموسم الزراعي الصيفي في السودان
عمر سيد أحمد
16-19

قراءة في التحولات الإقليمية والدولية تجاه السودان
عثمان فضل الله
20-23

زمن الميليشيات
طاهر المعتصم
27-28

حينما تصبح قاعات الامتحان ميادين صمود
حيدر المكاشفي
29-31

حكومة.. الانقلاب الأولى!
وائل محجوب
40-41

السودان المتعدد والإقصاء الإسلاموي: قراءة في سِفر التمكين
لواء شرطة (م) د. عصام عباس
42-44

رسائل للأحباب: رسالة للسيدة سناء إبراهيم
عثمان يوسف خليل
49-51

الغلاف

نزوح
مثلث العوينات: نزوح لا يُشبه نزوحًا آخر
4-6

تقرير
دارفور تحت المطر والنار: موسم جديد من الجوع والخوف
9-10

نزوح
منى تعجن الأمل: من قاعات الجامعة إلى فرن النزوح
14-15

تقرير
«كرامة».. حل المليشيات أم إعادة إنتاجها؟
24-26

مقابلة
مهندس وليد الريح:
الخرطوم تغرق في العتمة: قصة الانهيار

32-36

أزمات
«الوادي الأخضـر».. حين يتحول الاسم إلى نقيضه
37-39

حكايات
من دفاتر الشتات
حين يلفظ الوطن أبناءه
45-48

كراسات الفيلابي
السر السيّد
71-73

حـــوار

الدكتور يس بكري:
تزايد حالات الإصابة بالأمراض النفسية وسط كبار السن والأطفال

54-56

رياضة

«لسنا وحدنا»..
لحظة إنسانية تخترق صخب الملاعب
83-84

مثلث العوينات:
نزوح لا يُشبه نزوحًا آخر

ملخص

في قلب الصحراء عند مثلث الحدود بين السودان وليبيا ومصر، يتكشف فصل جديد من مأساة النزوح السوداني، حيث الآلاف من العائلات فرّت من جحيم الحرب نحو المجهول. لم يكن نزوح العوينات حدثًا مفاجئًا، بل نتيجة تراكمات من الإهمال والانفلات الأمني وغياب الدولة، حتى أصبحت المنطقة نقطة نزف صامت باتجاه الشمال.

قصة النزوح من العوينات حملت مشاهد إنسانية موجعة، كما روت «أم سلمة عبد الرحمن» لـ«أفق جديد»، التي وصفت رحلتها مع أطفالها بأنها رحلة بكاء وجوع ورعب، بعدما استأجرت عربة كارو بـ280 ألف جنيه للهروب من المنطقة عقب دخول قوات «الدعم السريع».

يشير إلى أن الأسر النازحة تواجه أوضاعًا إنسانية قاسية، ما بين نقص الغذاء، وانعدام المأوى، وغياب الحماية، في ظل دعوات متزايدة لتدخل المنظمات الدولية، لتوفير الإعاشة وإعادة توطين الفارين.

يمثل نزوح العوينات مشهدًا مريرًا من مأساة ممتدة، يعكس تعقيد الصراع في السودان، وتحوّل حدوده إلى نقاط انكسار إنساني. إنها رحلة هروب من حرب لا تفرق بين الرمال والناس، ولا تترك للناجين سوى الخوف والانتظار.

أفق جديد

ليست كل رحلة نزوح تشبه الأخرى، ولا يحمل النازحون ذات القصص، وإن تقاطعت ملامح الوجع.

في المثلث الحدودي بين السودان وليبيا ومصر، حيث تمتد الصحراء بوحشتها والحدود ببعدها، تناثرت عشرات الحكايات المؤلمة لأسر شردتها الحرب، وساقتها الظروف إلى مصائر متباينة.

واحدة عبرت الرمال على أقدامها، وأخرى حُملت على عربات الكارو، وثالثة وجدت مأواها مؤقتًا على الضفة الأخرى من الحدود، في مخيمات لا يعرف ساكنوها إن كانت محطة انتظار أم نهاية طريق.

نزوح العوينات لم يكن حدثًا مفاجئًا، بل نتيجة تراكمات من الإهمال والتجاهل والانفلات، ليتحوّل إلى نزيف بشري صامت نحو الشمال.

من دنقلا إلى الدبة، ومن أم درمان إلى غرب توشكا، تتجمّع شهادات من أُجبروا على الفرار، حاملين معهم صغارًا، وخيامًا من الذاكرة، وبعض ما تبقى من الكرامة.

بكيت أمام جوع أطفالي

يبقى نزوح العوينات شاهدًا آخر على حرب لا تفرّق بين الرمال والناس، وتدفع الأبرياء في كل مرة إلى هروب جديد، بأسئلة بلا أجوبة، وخرائط بلا وجهات آمنة.

ويعيش آلاف النازحين داخل مدينتي دنقلا والدبة شمالي السودان في ظل وضع مأساوي، بعد رحلة نزوح مؤلمة من مثلث «العوينات» الحدودي بين السودان وليبيا ومصر.

تقول «أم سلمة عبد الرحمن» لـ«أفق جديد»: «بكيت كثيرًا ووقفت عاجزة أمام جوع وعطش أطفالي أثناء رحلة عودتنا إلى الولاية الشمالية».

وفي الوقت الذي تكافح فيه «أم سلمة» لتقديم المساعدة اللازمة لأسرتها الصغيرة بأي طريقة ممكنة، من إشعال النار في الموقد، ومراقبة الطعام، عليها جمع الحطب والماء.

وأضافت: «هربنا بحثًا عن الأمان بعد دخول عناصر الدعم السريع إلى منطقة المثلث الحدودي، ووصلنا أخيرًا إلى أم درمان في ظل حالة من الخوف والحزن».

وتابعت: «تحمل أطفالي الصغار مسؤوليات تتجاوز سنوات عمرهم بكثير، وأثناء النوم يزعجهم كابوس صوت الرصاص».

وأشارت «أم سلمة» إلى فرار عشرات العائلات من منطقة «العوينات» بحثًا عن السلام والأمان في ظل تعقيد الأوضاع الأمنية والإنسانية.

ومضت بالقول: «اضطررنا لاستئجار عربات الكارو مقابل 280 ألف جنيه في رحلة تستغرق أكثر من 3 ساعات عبر طرق وعرة خالية من الحماية الرسمية».

«كرب التوم» في قلب النزاع :

يقول أيوب مصطفى، العائد من منطقة «كرب التوم»: «كنت أعمل هناك، لكنني عدت مضطرًا بعد سيطرة الدعم السريع على المنطقة».

وأضاف مصطفى في حديثه لـ«أفق جديد»: «عانينا الجوع والعطش والمرض إلى أن وصلنا إلى مدينة أم درمان. نجونا من الموت بعد الأحداث المروعة هناك».

وتابع: «عشنا أيامًا مع التعب والمعاناة. كتب الله

لنا أعمار جديدة».

وفي 16 يونيو الماضي، أعلنت قوات «الدعم السريع»، السيطرة منطقة «كرب التوم»، إحدى الواحات الثلاث الواقعة قرب سلسلة جبال العوينات في الولاية الشمالية.

وتمثل منطقة «كرب التوم» مسار إمداد كبير من منطقة «المالحة» في شمال دارفور وحتى «مليط» انطلاقا من ليبيا.

وتأتي عملية السيطرة على منطقة «كرب التوم» بعد أيام من استحواذ عناصر «الدعم السريع» على منطقة المثلث الاستراتيجية، التي تشكل نقطة التقاء محورية بين السودان وليبيا ومصر.

وفي يونيو الماضي، هاجمت قوات «الدعم السريع»، مثلث «العوينات» الحدودي، وعلى إثر ذلك أعلن الجيش السوداني الانسحاب من المنطقة الواقعة في أقصى الشمال الغربي للبلاد، واتهم قوات المشير خليفة حفتر، بإسناد الدعم السريع في السيطرة على المنطقة.

40 ألف والعدد في ازدياد

أعلنت حكومة الولاية الشمالية، أن تراكمي النازحين إلى مدينتي دنقلا والدبة من دارفور وكردفان ومثلث العوينات الحدودي وصل إلى حوالي 40 ألف نازح.

وأفادت مفوضية العون الإنساني بالولاية الشمالية، أن مدينة الدبة استقبلت حتى الآن أكثر من 6 آلاف أسرة نازحة – حوالي 30 ألف فرد – من الفاشر والمالحة بولاية شمال دارفور، ومن النهود والخوي بولاية غرب كردفان.

وتتعرض مدينة الفاشر عاصمة ولاية شمال دارفور إلى حصار طويل من قبل قوات الدعم السريع منذ أكثر من عام، بينما شهدت مناطق «المالحة» و«الخوي» و«النهود» معارك بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع انتهت بسيطرة الأخيرة على هذه المناطق.

وحسب المفوضية، فإن اضطراب الأوضاع الأمنية في منطقة مثلث «العوينات» الحدودي تسبب في آثار إنسانية تمثلت في تدفق نازحين من المنطقة النائية إلى دنقلا عاصمة الولاية الشمالية.

وأوضحت المفوضية أن عدد الفارين من مثلث العوينات إلى دنقلا وصل إلى 1091 نازح منذ بدء الأحداث هناك في يونيو الماضي.

وأشارت المفوضية إلى استمرار تدفقات النازحين إلى الولاية من إقليمي دارفور وكردفان والعوينات، وسط جهود تبذلها الولاية والمنظمات الإنسانية في توفير المأوى والغذاء.

ودعت المفوضية منظمتي الهجرة والدولية والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، إلى التدخل للتكفل بنقل أكثر من 5 آلاف نازح سوداني اضطروا إلى الهروب من منطقة العوينات إلى داخل الحدود المصرية.

ونبهت إلى أن الفارين من عوينات داخل الحدود المصرية يقيمون حاليًا في مخيم غرب توشكا، ويحتاجون إلى تدخلات سريعة من المنظمات ذات الصلة لتوفير النقل إلى السودان والإعاشة إلى حين الوصول إلى وجهاتهم الأخيرة.

ومنذ أبريل/نيسان 2023، يشهد السودان حربًا بين الجيش وقوات «الدعم السريع»، خلّفت أكثر من 20 ألف قتيل ونحو 15 مليون نازح ولاجئ، وفق الأمم المتحدة والسلطات المحلية، بينما قدر بحث لجامعات أمريكية عدد القتلى بنحو 130 ألفًا.

على حافة الافق
عقل الحرب (المجد البندقية) (4)

د. صلاح عمر

ملخص

يتناول المقال بنظرة تحليلية نقدية تطور ما يسميه الكاتب بـ«عقل الحرب» في السودان، ويعتبره أخطر أنماط التفكير السياسي، لأنه لا يكتفي بحمل السلاح، بل يجسد إخفاقات العقل السياسي منذ الاستقلال ويعيد إنتاجها بصورة أكثر تدميرًا ولا مبالاة بالدولة والمجتمع.

يشير إلى أن «عقل الحرب» هو امتداد للعقلية الأمنية التي تأسست في ظل نظام الإنقاذ، حيث تمت عسكرة السياسة عبر كوادر مدنية إسلامية تم تدريبها أمنيًا، مثل نافع علي نافع وصلاح قوش وآخرين.

يؤكد أن هذا العقل يرى في المواطن خطرًا، والمعارضة تمردًا، والاحتجاج انقلابًا، وقد أصبح الأمن مركز القرار السياسي. وهو عقل معادٍ للمدنية والمجتمع المدني، ويرتكز على منطق السيطرة بالقوة.

يخلص المقال إلى أن تفكيك هذا العقل لا يتم بوقف إطلاق النار فقط، بل باقتلاع جذوره من الاقتصاد والوعي الجمعي، محذرًا من أن بقاء هذا العقل يعني استمرار دورة العنف.

في مواصلة الحديث عن العقل السياسي السوداني نقف أمام العقل الأكثر خطورة في مسيرة السياسة السودانية: عقل الحرب. ليس لأنه يحمل السلاح فقط، بل لأنه يجسد تراكم كل إخفاقات العقول السابقة، ويعيد إنتاجها بصورة موضوعية، وأقل التزامًا بالدولة والمجتمع.

وعقل الحرب يعد امتدادًا طبيعيًا للعقلية الأمنية التي تأسست في مهد الإنقاذ واستمرت، وهي تختلف عن العقل الأمني الاحترافي المناط به أمن البلاد والعباد، فالإنقاذ أنشأت أساس عقل أمني سياسي على غرار عقل (السافاك) الإيراني، فقد نصبت على رأس جهاز الأمن كوادر سياسية أمنية ينتسبون للحركة الإسلامية مثال (نافع، قوش، محمد عطا، عبدالغفار الشريف، قطبي) والقائمة تطول، وجميعهم مدنيين لديهم درجات علمية رفيعة في تخصصات مختلفة، ولكنهم جميعًا تلقوا تدريبات أمنية داخل تنظيمهم السياسي.

ومنها شرعت الإنقاذ في بناء عقل سياسي يقوم على الأمن أولًا، لا السياسة لا المجتمع، لا التنمية، فكان استئناف حرب الجنوب بشراسة، وتواصلت في دارفور وجبال النوبة، وأصبحت وسيلة لبناء دولة فوق الحرب، لا فوق التوافق .

هذا العقل الذي تم بناؤه وفق إستراتيجية صاغتها أيديولوجيا الإسلام السياسي يعتبر المواطن تهديدًا، والمعارضة تمردًا، والتنوع خطرًا، والاحتجاج بداية لانقلاب، فكانت النتيجة أن تحول الجهاز الأمني إلى مركز العقل في القرار السياسي .

عقل يناصب المدنية العداء، وكذلك الناشطين في فضاء المجتمع المدني ومؤسساته، ويرى أن السيطرة بالسلاح هي السبيل الوحيد للبقاء في السلطة.

أمر آخر، لا يمكن الحديث عن عقل الحرب دون الإشارة للارتباط بينه وبين (الاقتصاد الطفيلي) أو بالأحرى طفيلية الثراء وتحييد أموال الدولة، عبر المؤسسات الاقتصادية الضخمة التي انشقت للمنظومة العسكرية بعيدًا عن مؤسسات الدولة الاقتصادية، وبعيدًا عن أعين مراقبتها ومراجعتها .

ومنها جاء عقل الحرب الذي يتغذى من شبكة مصالح طفيلية ليحول الحرب إلى سوق والدم إلى ربح. كلما زادت الدماء وأزهقت الأرواح ينتعش سوق تجارة السلاح وتهريب الذهب، ويسيل اللعاب لمواصلة الحرب لا إيقافها.

إذن نحن أمام أواصر قوية نسجت بين عقل الحرب و(المال الطفيلي) الذي تدره الحرب.

عقل الحرب ليس عقل فرد أو مجموعة بل عقل منظومة فكرية اقتصادية وعسكرية، وفوق ذلك ربطت ذاتها بمحاور وأحلاف إقليمية وعالمية حتى يتسنى لها الدعم المطلوب لمواصلة أعمالها الحربية.

ومن خلال الممارسة اتضحت ملامح وسمات هذا العقل

بوضوح، ولنا أن نفصلها في الآتي:

عقل (استحواذي) لا تفاوضي:

لا يؤمن بالمشاركة، بل بالتمكين .
يرى في أي تنازل تهديدًا لوجوده لا تكتيكًا مرحليًا.
لذا تحول مشروع الاتفاق الإطاري إلى صراع وجودي لا تفاوض عقلاني .

عقل مركزي:

يتمركز في الخرطوم ويعتبر السيطرة عليها سيطرة على الدولة .
لا يعترف بأطراف السودان إلا كجبهات قتال أو موارد تعبئة، لا شركاء في السيادة .

عقل مزدوج الخطاب:

يستخدم خطاب الدولة عندما يحتاج الشرعية .
يستخدم منطق المليشيا عندما يحتاج القوة .
ينجح في خلق أعداء وهميين لتبرير بقائه .
يعيد استخدام أداة الاستعمار (فرق تسد)، عرق مقابل عرق، قبيلة مقابل قبيلة... إلخ.

هذه سماته التي تجلت من خلال الحرب الدائرة اليوم. ولا شك قابلة للإضافة .

كما أن تفكيك عقل الحرب هذا بالطبع لا يكون فقط بوقف عقل الحرب هذا، بالطبع لا يكون فقط بوقف إطلاق النار، بل بنزع جذوره من عمق الاقتصاد، الوعي الجمعي والمجتمع المدني. ما لم يهزم هذا العقل فإن السودان سيبقى يدور في حلقة النار، كل أزمة تحل مؤقتًا، وتنفجر لاحقًا بصيغة أعنف.

الحرب ليست حالة طارئة، بل هي عقل راسخ والنجاة تبدأ في محاسبته لا في التعايش معه.

في المقال القادم سوف نتناول كيفية بناء عقل سياسي ناضج يمكن له أن يقود سودان جديد .

دارفور تحت المطر والنار: موسم جديد من الجوع والخوف

ملخص

في دارفور، تحوّل موسم الأمطار هذا العام إلى كارثة مزدوجة، حيث امتزج المطر بالنار، والطين بالدم، وسط تصاعد الحرب وتفاقم الأزمات الإنسانية.

ففي مدينة الفاشر، أدّى هجوم مميت على قافلة أممية إلى توقف المساعدات الإنسانية، ما فاقم معاناة آلاف العائلات المحاصرة. وقد تسببت المعارك المتواصلة شمال دارفور في نزوح أكثر من 400 ألف شخص خلال أسابيع، ليرتفع العدد الكلي للنازحين داخل السودان إلى 13 مليونًا، بجانب 4 ملايين لاجئ خارج البلاد.

الأمطار التي انتظرها الناس أغلقت الطرق، وحاصرت المخيمات، ومنعت وصول الغذاء والدواء، بينما ارتفعت أسعار السلع الأساسية بنحو 65%، وتوقفت المخابز، مما أدى إلى تفاقم أزمة غذاء تهدد بالمجاعة.

دارفور اليوم عالقة بين الحرب والمطر، تعاني من الجوع والمرض والعزلة. وإذا لم يتم التحرك سريعًا، فإن الموسم المطير قد يتحول إلى موسم مجاعة شاملة، في ظل غياب حلول واقعية أو ممرات إنسانية فاعلة.

إعداد: محمد أحمد

في دارفور، المطر ليس نذير حياة، بل بشير خطر جديد. مع بداية موسم الأمطار في يونيو، اختلطت برك الماء بمستنقعات الدم، فيما واصلت السماء إرسال غيومها الثقيلة على أرض أثقلتها حرب لا تنتهي، بينما تراقب العائلات النازحة السماء وهي تهدد بخنق آخر ما تبقى من قوتهم وصبرهم.

قبل شهر، سقط خمسة من موظفي الأمم المتحدة قتلى في هجوم استهدف قافلتهم الإنسانية في مدينة الفاشر، العاصمة المحاصرة لشمال دارفور، ليغلق ذلك الهجوم باب الأمل أمام آلاف العائلات التي انتظرت تلك المساعدات كطوق نجاة (NPR). ومنذ ذلك اليوم، لم تهدأ الحرب ولم تصل المساعدات، بل اجتمعت الأزمات فوق رؤوس الناس وهم يجرون خطواتهم في الطين تحت وابل الرصاص.

في الأسابيع التي تلت ذلك الهجوم، دفعت المعارك المستعرة في شمال دارفور أكثر من 400 ألف إنسان للنزوح من منازلهم، في موجة جديدة من التشريد دفعت بإجمالي النازحين في السودان إلى أكثر من 13 مليون إنسان، بينما غادر أربعة ملايين آخرين البلاد بحثًا عن ملاذ بعيد عن الموت والجوع (Global Issues).

لكن المطر الذي انتظره المزارعون صار لعنة على النازحين. فقد أغلقت الأمطار طرق الإمداد، وحاصرت المخيمات، وأعاقت وصول شاحنات الغذاء والدواء إلى المخيمات التي تحولت إلى جزر من الألم في بحر الطين. يقول أحد النازحين في مخيم قرب الفاشر:

> «الأمطار اخترقت خيامنا، والمياه الراكدة صارت تحمل الأمراض. لم نعد قادرين على الاحتمال» (ACAPS).

وسط هذه الأمطار، اشتعلت أسعار الغذاء في أسواق دارفور، حيث ارتفعت أسعار الذرة والدخن والسكر بنحو 65% خلال شهرين، بينما أغلقت المخابز أبوابها بسبب انقطاع الإمدادات والوقود، لترتسم علامات المجاعة على وجوه الأمهات والأطفال الذين انتظروا الخبز بلا جدوى (ReliefWeb).

برنامج الأغذية العالمي أعلن أنه إذا لم يُؤمّن تمويل عاجل بقيمة 200 مليون دولار، فإن الإمدادات الغذائية ستتوقف خلال شهرين، ليصبح ملايين في دارفور على شفا الجوع الكامل (Reuters).

المرض كان حاضرا أيضًا في المشهد الموحل، إذ أعلنت اليونيسف عن تسجيل أكثر من 29 ألف حالة كوليرا و629 وفاة منذ بداية العام، بينما تتحدث منظمة أطباء بلا حدود عن انهيار 70% من المنشآت الصحية في السودان، تاركة آلاف الجرحى والمرضى دون دواء ولا رعاية، في مخيمات يغمرها الطين ويثقلها الخوف (UNICEF، MSF).

في الخلفية، ظهرت محاولات لفتح ممرات إنسانية مع إعلان الجيش السوداني قبول هدنة إنسانية محدودة في الفاشر بوساطة الأمم المتحدة، غير أن الهدنة بقيت معلقة في الهواء، بلا ضمانات حقيقية، وسط تحليق الطائرات المسيرة فوق سماء المدينة الموحلة (UN News).

اللافت أن موسم الأمطار الذي يبدأ عادة حياة جديدة في دارفور صار هذا العام فصلًا للفوضى. المياه التي تتسرب إلى الخيام المهترئة تغسل الوجوه المرهقة لكنها لا تغسل آثار الرعب، وتجعل من كل زقاق طريقًا إلى مستنقع يحمل الكوليرا والملاريا في خيوطه الطينية. ومع كل قطرة مطر، يزداد الخوف من مجاعة تقترب دون أن يجد أحد لها حلاً.

وفي هذا المشهد، تبرز المخاوف من أن يتحول هذا الموسم إلى موسم مجاعة واسع النطاق، إذا لم يتم تخزين المساعدات الغذائية قبل أن تقطع الأمطار الطرق نهائيًا، أو إذا لم تُفتح ممرات إنسانية حقيقية بعيدًا عن حسابات الحرب والأسلحة والطائرات المسيّرة.

دارفور اليوم تقف على حافة الهاوية: موسم الأمطار لم يجلب السلام، ولم يرحل عنها الحرب، بل أضاف على معاناة الحرب طبقة جديدة من الطين والجوع والمرض، تاركًا آلاف العائلات في انتظار ما قد يأتي به الغد: قافلة نجاة لا تعرف إن كانت ستصل، أم خبر سقوط جديد في مدينة تنتظر بلا نهاية.

حرب الصور، وعذابها

د. وجدي كامل

ملخص

يتناول المقال أثر الصور المنقولة من ساحات الحرب، خصوصًا في السودان على المتلقين، لا سيما النازحين أو من يعيشون في الخارج، رغم ابتعادهم جسديًا عن مناطق القتال، إلا أنهم يتعرضون لقصف بصري دائم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بما تنقله من مشاهد العنف والانتهاكات.

يرى الكاتب أن الصورة ليست بريئة، بل تحمل في طياتها نوايا وتحيزات، وتؤثر في وعي الأفراد، وسلوكهم، وحتى في صحة من يتابعها يوميًا،ويؤكد أن هذه الصور تخلق حربًا موازية داخل النفوس، تزرع الكآبة والتوتر، وتؤدي إلى نوع من «التطبيع البصري» مع العنف.

يشير إلى أن الصورة قد تصبح أداة تأجيج، لا مجرد توثيق، عبر استخدامها السياسي والعاطفي في خطاب الحرب، مما يجعل المشاهد مشاركًا معنويًا في الصراع، لا متلقًا سلبيًا فقط.

الصورة في زمن الحرب ليست مجرد وسيلة نقل، بل سلاح نفسي يخترق وعي الجماعة، يشكّل سردياتها ويؤثر على ثقافتها، وفي السودان، حيث الألم مشترك، تصبح الصور جزءًا من الجراح، لا مجرد انعكاس لها. وإذا لم نُحسن تأملها، وتفكيكها، والتعامل معها بوعي، فإنها ستعيد إنتاج المأساة إلى ما لا نهاية.

تظل الغالبية العظمى من النازحين، أولئك الناجين بأرواحهم من ويلات الحرب، المقيمين بأجسادهم على مسافة بعيدة من جغرافيا الحرب على ظنٍّ أنهم باتوا في مأمن من ضرباتها وانفجاراتها اليومية المتزايدة. فالبعد الفيزيائي «وضع البعيد»، يجعل علاقتهم بالحرب علاقة اتصالية، وبالأحرى «تواصلية»، تقوم على استهلاك المعلومات المنقولة من مناطق الصراع، وعبر الصور المتداولة بوسائل التواصل الاجتماعي، فمنذ اندلاع الحرب، لعبت منصات مثل فيسبوك، إنستغرام، تويتر، وواتساب دورًا محوريًا في نقل محتوى كثيف، وجرعات عالية من الصور والمقاطع، توثّق بشكل لحظي ما يجري على الأرض. غير أن من يظن أن هذه الوسائط قامت فقط بدور المرآة العاكسة للحدث يخطئ الظن. فقد أتاحت إمكانية تسجيل تفاصيل القتل، السحل، التعذيب، بقر البطون، الإعدامات الحية، التهجير الجماعي، والإساءات اللفظية، فامتلأت ذاكرة الميديا بعشرات الآلاف من الصور المرعبة، المروّعة.

هذه الصور، وإن بدت لوهلة أنها «أدت غرضها وذهبت إلى الأرشيف لتستريح وتنام»، إلا أنها تبقى مغرضة في رسائلها، فاعلة في آثارها. الصدمة تتجلى حين يكتشف المتلقي، بعد زمن، أن ما شاهده لم يمرّ عابرًا، بل استقر في ذاكرته، ونفذ إلى ثقافته، وتربيته اليومية، وأسلوب تعاطيه مع الحياة.

فالصور، في جوهرها، لا تنقل فقط محتوى مرئيًا، بل تحمل عدواها وعدوانها، عبر زوايا النظر التي اختارها المصوّر، ومنظور المنتج، والسياقات المصاحبة. الباحثة أرييلا أزوراي، تضيف منظورًا مهمًا حين تقول:

«كل صورة حرب تحمل في طياتها علاقة بمن يُصوّر، ومن يُصوَّر، ومن يشاهد، ما يعني أن الصورة ليست بريئة»1.

في الحروب، تكون الصور حكرًا على مشاهد العنف والانحطاط الإنساني، مما يجعلها مواد ملتهبة، تشتبك بالمعنى، وتبثّ الفتنة والألم بين الناس عن وعي وبصيرة. إنها تساهم في تشكيل سردية الحرب، وصناعة التصور الجمعي عنها.

أتذكر هنا، حينما كنت أعمل في قناة الجزيرة، وتم تكليفي بعد انتهاء الخدمة، من مديرها الأستاذ مصطفى سواق توثيق مسيرة القناة بمناسبة عيدها الفضي. أجرينا مقابلات مع المؤسسين من مذيعين ومقدّمي برامج وإداريين ممن فاق عددهم الخمسين. وكان هناك إجماع بينهم على أن الانطلاقة الحقيقية للقناة حدثت إبان حرب العراق 2001-2003، عبر التغطيات الخاصة والحصرية، ما لفت أنظار الغرب، وكرّس تأثير القناة القوي لدى المشاهدين العرب، فجعل من التغطية الإعلامية صناعة موازية للحدث.

وفي تغطية أحداث الربيع العربي، وُجهت للقناة اتهامات بأنها ساهمت في تأجيج الثورات، بفعل تغطية مستمرة، منتظمة، وبرمجة مفتوحة، جعلت من «المشاهد لاعبا مشاركًا». فأضيف بأن وظيفة القناة لم تكن نقلية فقط كما يُشاع، بل كانت ذات أثر تعبوي جعلها مساهمًا لا يقل أهمية عن الثوار أنفسهم بالميادين.

هذا المنحى تؤكده نظرية بول فيريليو، المفكر الفرنسي المتخصص في الثقافة والإعلام، بقوله:

«الصورة في الحروب الحديثة ليست ناقلًا فقط للحدث، بل سلاحًا بحد ذاته.»2

إن المشاهد، حين يشاهد فيلم «أكشن» أو فيلمًا حربيًا لساعة أو ساعتين، يخرج من دار العرض مختلفًا عما دخل، رغم قِصر الزمن. فالتجربة الفيلمية تؤسس لحالة نفسية جديدة، تنصهر في داخله وتُعاد تدويرها في مخياله العاطفي والمعرفي. ذلك حال الأفلام المعالجة فنيًا وإبداعيًا وفق تصور مسبق من صانعيها لحزم الاستجابات المتوقعة، فكيف يكون الحال حين تكون الصور المُشاهدة ليست من السينما الفنية أو الخيالية، بل من شرائح ساخنة، متدفقة من الواقع، واقع حرب تخصه، حرب واقعها ووقائعها ببلاده ومدنه وأهله، وبالتالي ذكرياته؟

حين ننتقل لتحليل الحالة السودانية، نجد أن ضخّ الصور من ساحات الحرب، في نسق معلوماتي كثيف بواسطة الجنود، أو المواطنين، أو المراسلين التلفزيونيين، يخلق تأثيرًا نفسيًا مضاعفًا على النازحين، أو من يعيشون في بلدان المهجرون، أولئك ممن يتابعون احداث الحرب عن بعد.

أولى الحقائق هنا أن الصور تُمثّل لحرب «منا وفينا»، حرب تدور في قرانا ومدننا وبيوتنا، وهي حرب أصبحت داخلنا، حرب تضغط على أعصابنا وتثير فينا من الأحزان والآلام ما تثير، ما ينسف أي إمكانية للحياد واعتبارها تجربة خارج ردود فعلنا واستجاباتنا الخاصة.

يُضاف إلى ذلك أن الانقسامات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين السودانيين تُنتج تحيزًا في استهلاك الصور وتفسيرها وتدويرها بتدخل منحاز ومنفعل، فتصبح الصور ذات قيمة عاطفية زائدة، تتحول إلى «شرر إضافي» يُغذي لهيب الحرب نفسها في مواقعها الحقيقية بما ترفده ردود أفعال الناجين على الجنود المقاتلين. وقد شهدنا في هذه الحرب كيف استطاع غناء من يطلق عليهن بالـ «القونات» من إلهاب مشاعر قادتها العسكريين والجنود معا عن طريق الزيارات الميدانية والصور القادمة عن طريق الميديا أيضًا.

غير إن الأهم يتمثل في تحويل التفاعل مع هذه الصور إلى تجربة شخصية نفسية وذهنية مؤثرة، يتداخل فيها العام مع الخاص، والجمعي مع الفردي، والمحتوى الصادم مع التجربة الذاتية، بما يترك آثارًا عميقة على المتلقين.

وتكمن الخطورة الأكبر في طبيعة الاستهلاك الرقمي اليومي الذي لا يشبه متابعة الأفلام أو النشرات الطويلة.

فالمتابع اليومي، وخاصة من يستخدم الإنترنت بشكل مكثف ولساعات طويلة، قد يمضي وقته في تفاعل مباشر مع محتوى حي، سواء صور فوتوغرافية أو مقاطع فيديو. هذا التفاعل المستمر يعمّق أثر الصور، ويضع المتلقي في موقع الشاهد المباشر، وربما الضحية النفسية.

هكذا، تتحول الصورة إلى حرب موازية تزرع الكآبة، القلق، والتوتر، وتخلق نوعًا من الإعاقة الذهنية والنفسية، قد تتحول إلى أمراض فعلية، أو تزيد من حدة الموجود منها وقد تقتل بالجلطات والسكتات القلبية. فالمتلقي لا يخرج سالمًا من هذا الدمار البصري، بل تتراكم عليه توترات وصراعات داخلية، تُنتج «حربًا موازية» تدور في دواخله وتنعكس على محيطه بنحو منتظم ومتصاعد كلما طال أمد الحرب وتكثفت خساراتها، فالأرواح التي لم تمت برصاص المعركة تموت برصاص الصور المتدفقة. هنا يوحد الموت الضحايا وان تعددت الأسباب. ولكن فالخطر قد لا يكمن في نتائجه المدمرة بيولوجيا، بل في جعل الحرب وكأنها مجرد نزهة.. فالصور حين تُستهلك في المقابل بلا وعي تصبح وسيلة تخدير لا تذكير، وتحول الحرب إلى فرجة لا إلى دعوة للمساءلة، وهذا ما تناولته سوزان سونتاغ في كتابها * ما يخص الألم لدى الآخرين* عندما تلفت النظر إلى أن «الصور ليست ما يُعلّمنا أن ننسى، بل كثرتها، وتكرارها، وعدم قدرتنا على الوصول إلى ما وراءها، هي ما يُخدّر حسّنا الأخلاقي ويحول الألم إلى استهلاك»3. ذلك ينسجم أيضًا مع ما ذكره جون بيرجر في مؤلفه: «طرق الرؤية « الصورة التي لا يُعاد التفكير فيها، لا تثير فعلًا، بل تُركَن إلى الذاكرة كحقيقة ميتة.

إن كل ما سبق يدعو للنظر الى الصور المتدفقة عن الحرب بنحو من التأمل والتفكير النقدي بعدم الوقوع في شباك القراءة البصرية السلبية. من هنا، لا خلاص من حرب الصور إلا بتحرير وعينا منها ومن اثقالها ومحمولاتها، لا بها.

1 - دعوة لإعادة التفكير في أخلاقيات الصورة:

لقد بات من الضروري اليوم، وسط هذا السيل من الصور المحمّلة بالألم والخراب، أن نعيد فتح النقاش الأخلاقي حول ما يُنشر، ومن ينشره، ولماذا، وكيف يمكن لمجتمعاتنا أن تضع أطرًا تراعي أثر الصورة قبل استهلاكها أو ترويجها، لأن الحرب لا تقتل فقط بالبندقية، بل بعدسة الكاميرا أيضًا.

2 - اقتراح حلول إعلامية أو تربوية:

إذا كانت الصورة قد تحوّلت إلى أداة حرب نفسية، فربما آن الأوان لتطوير استراتيجيات إعلامية وتربوية تساعد الأفراد على «مقاومة» هذه الحرب، عبر رفع وعيهم بآليات التلقي.

وهذا كله ينطبق بجلاء على الحالة السودانية، حيث لم تعد الصور المتدفقة من جبهات القتال مجرّد وثائق للحدث، بل تحوّلت إلى وسيلة تعايش يومي مع العنف، وإلى شكل من أشكال «التطبيع البصري» مع المأساة. فكما تقول سوزان سونتاغ، فإن المشكلة لا تكمن في الصورة ذاتها، بل في فيضانها وتكرارها واستهلاكها دون تأمل، ما يُخدّر الحس الأخلاقي ويحوّل معاناة الآخرين – في هذه الحالة أهلنا وذواتنا – إلى مادة عابرة في شريط لا يتوقف

3 - الحاجة للمعالجة النفسية الجمعية:

في مواجهة هذا القصف البصري المستمر، تبدو الحاجة ملحة لتأسيس برامج دعم نفسي، لا تعنى فقط بالضحايا في ساحات المعارك، بل تشمل أيضًا أولئك المحاصرين خلف الشاشات، والذين تفتك بهم صور الحرب ببطء، وفي صمت

الخلاصة

«وهكذا، تبقى الصورة، رغم صمتها، أكثر ضجيجًا من الرصاص، لأنها لا تمر دون أن تترك أثرًا. إنها لا تكتفي بتوثيق الموت، بل تشاركه، وتُعيد إنتاجه. فهل نحن من يشاهد الصور، أم هي التي تشاهدنا وتنحت ملامحنا من جديد؟»

وفي السودان، حيث يتشارك الضحية والمُتلقي الوجع والانتماء، تصبح الصورة أقسى وأقرب وأكثر إيذاءً. هنا لا يتأمل المُشاهد الآخر، بل يتأمل ذاته المجروحة، أهله المقتولين، ومدينته المحروقة. فالحرب في السودان لا تُدار فقط بالسلاح، بل أيضًا بعدسة الهاتف، وصورة الميديا، وبالدم المنقول عبر شبكة من الصور التي تُدمي العيون والقلوب. وإذا لم نعد قراءتها، وتأملها، وفهم ما تحمله من دلالات خفية، فسنكون شهودًا على مأساة مضاعفة. وهي التجربة التي حذر منها جون بيرجر حين قال إن الصورة التي لا يُعاد التفكير فيها تصبح «حقيقة ميتة»، لأنها حين لا تُفكّك أو تُحرّك وعينا، تُدفن كما يُدفن القتلى، دون عزاء، ودون محاسبة.

[1]: Ariella Azoulay, The Civil Contract of Photography, Zone Books, 2008

[2]: Paul Virilio, The Vision Machine, Indiana University Press, 1994

[3]: Susan Sontag, Regarding the Pain of Others, Farrar, Straus and Giroux, 2003.

[4]: John Berger, Ways of Seeing, BBC and Penguin Books, 1972.

منى تعجن الأمل: من قاعات الجامعة إلى فرن النزوح

ملخص

تروي «منى»، أستاذة جامعية نازحة من الخرطوم إلى نهر النيل، حكايتها مع الحرب والنزوح والصمود. بعد تدهور الأوضاع في العاصمة عقب إعلان «تحريرها»، حاولت العودة إلى منزلها، لكنها سرعان ما غادرته مجددًا بسبب غياب الخدمات وتدهور البيئة، وإصابة ابنها المُعاق بحمى الضنك.

في إحدى مدارس الإيواء في بربر شمالي السودان ، بدأت منى مشروعًا صغيرًا لصناعة البسكويت بعد أن تعلّمت الوصفات من الإنترنت. بدأت بدون رأس مال، واستدانت مكونات الإنتاج الأولى، ثم سددت ديونها من الأرباح.

تقوم منى بتوزيع إنتاجها سيرًا على الأقدام على المحلات والأسواق، وتحلم بفتح محل صغير لبيع الحلويات وشراء كرسي كهربائي لابنها.

منى تمثل نموذجًا للمرأة السودانية العصامية التي لم تستسلم رغم الفقد والمخاطر، وصنعت من محنتها فرصة للنجاة بكرامة.

نهر النيل – لبنى عبد الله

في زمنٍ تتكسر فيه الأحلام تحت وطأة الحرب، وتذبل فيهِ الأماني على أرصفة النزوح، تخرج بعض الحكايات كعطر نجا من الحريق.

حكايات لنساء لم ينتظرن العطف، بل نهضن من بين الركام ليعجنّ الصبر ويخبزن الأمل.

«منى»، أستاذة جامعية، ونازحة، وأم، وحالمة رغم كل شيء، لم تترك الحرب تأخذ منها سوى المكان، أما الكرامة فاحتفظت بها داخل قلبها، وراحت تبني من فتات الخبز مشروعًا صغيرًا للحياة.

هذه ليست قصة عن البسكويت، بل عن الصمود، حين يصبح الفرن المؤقت وطنًا مؤقتًا، وحين تصبح اليد التي تعجن هي ذاتها التي تكتب فصول النجاة.

في ركن هادئ بإحدى مدارس الإيواء بولاية نهر النيل، كانت «منى» تجلس ساعات طويلة أمام ماكينة صغيرة لصناعة البسكويت. بين يديها عجين مرصوص بعناية، تحمله فوق رأسها في صوانٍ مدهونة بالزيت إلى المخبز المجاور، ليخرج ناضجًا ويُعرض في الأسواق. ليس حبًا في الخَبز، بل سعيًا لتأمين احتياجات أسرتها.

بعد إعلان الجيش السوداني تحرير مدينة الخرطوم، اختارت «منى» وعدد من الأسر النازحة العودة إلى العاصمة من عطبرة، لكن الواقع هناك كان أكثر قسوة. سُرعان ما قررت العودة مرة أخرى إلى دار الإيواء، فالأوضاع الإنسانية والبيئية في العاصمة لم تكن تحتمل.

تسرد «منى» قصتها وهي تغطي وجهها بطرف ثوبها، فلا يظهر سوى عيناها، وتقول: «عدت إلى منزلي في الحلة الجديدة، لكن الحي كان شبه خالٍ، قلة من السكان كانوا يعتمدون على تكية مسجد لتوفير وجبة العدس أو الأرز». وتضيف: «الحياة في الحي موحشة، أجساد السكان هزيلة، والمياه غير صالحة للشرب، والأمراض منتشرة، خاصة الكُلى وحمى الضنك التي أصابت ابني المُعاق، لذا قررت العودة مجددًا إلى ولاية نهر النيل».

كانت البداية قاسية. تعول أربعة أبناء، أحدهم من ذوي الإعاقة، ومن دون مصدر دخل. استعانت بالإنترنت لتعلّم صناعة المخبوزات والحلويات، ثم طرقت باب صاحب مزرعة وطلبت منه طبق بيض على الدين، مقابل وصل أمانة. «استدنت الدقيق وكل المستلزمات»، تقول منى، «وبعد توزيع الإنتاج الأول، سددت ديوني وبدأت العمل من أرباح بسيطة».

لكن التحديات لم تتوقف عند الإنتاج؛ التوزيع كان معركة يومية. كانت تمشي لمسافات طويلة لتوصيل البسكويت يدويًا، تسوقه في البقالات والأسواق، وتعرضه على الأسر والطلاب. حلمها: محل صغير تبيع فيه منتجاتها، وتوفّر من ربحه ما يكفي لشراء كرسي كهربائي لابنها المُعاق.

رحلة «منى» بدأت من نكبة الحرب. عندما اشتدت الاشتباكات في الخرطوم، اضطرت للهروب على متن سيارة خاصة، من دون أن تأخذ شيئًا من منزلها، سوى أطفالها وذكرياتها. بعد نزوحها إلى شندي، وجدت ملاذًا في صديقة قديمة بـ«بربر»، التي رتّبت لها الإقامة في مدرسة بدار الإيواء بـ«حوش الدار».

ومن هناك، أعادت بناء ذاتها من رماد الخسارة. استعارت فرنًا كهربائيًا صغيرًا، وبدأت العمل مجددًا، تتحدى الإحباط واليأس بصبرها ويدها التي تعجن الحياة وتشكّل الأمل.

جلست محررة «أفق جديد» إلى محل «منى»، تراقبها وهي تعد طلبية زبائن بتركيز وتفانٍ. بين العجين والزيت والصينية، كانت تُخبز شيئًا آخر: كرامة امرأة، وقصة مقاومة.

مخاطر جسيمة تتهدد الموسم الزراعي الصيفي في السودان

عمر سيد أحمد

ملخص

يواجه الموسم الزراعي في السودان لعام 2025 تهديدًا وجوديًا بسبب الحرب التي دخلت عامها الثالث، وسط انهيار شبه كامل للبنية التحتية الزراعية، وتراجع كبير في التمويل، ونزوح الملايين من المزارعين، ما ينذر بكارثة غذائية غير مسبوقة.

يذكر أن الحرب عطّلت الإنتاج في ولايات رئيسية مثل الجزيرة، القضارف، النيل الأبيض، وكردفان، وأكثر من 10 ملايين نازح، نسبة كبيرة منهم من العاملين بالزراعة.

يشير إلى أن التمويل الزراعي الرسمي تراجع إلى أقل من 5% من إجمالي التمويل المصرفي، والبنك الزراعي انهار فعليًا بسبب انعدام السيولة، الفساد، وغياب الخطط الإصلاحية.

يخلص الكاتب إلى أن الزراعة في السودان لم تعد مهددة بالحرب وحدها، بل أيضًا بسوء السياسات، وانهيار البنية المؤسسية، وحرمان المزارعين من التمويل والدعم. ولا سبيل لتعافٍ اقتصادي حقيقي دون إصلاح جذري للقطاع الزراعي، وتوجيه الموارد السيادية نحو الإنتاج بدلاً من الصراع.

الوضع الراهن للزراعة في السودان بعد دخول الحرب عامها الثالث

يمثّل القطاع الزراعي عماد الاقتصاد السوداني، إذ يضم أكثر من 60% من القوى العاملة، ويسهم بنحو 40% من الناتج المحلي الإجمالي في فترات الاستقرار. غير أن دخول السودان عامه الثالث من الحرب، التي اندلعت في أبريل 2023، قاد إلى انهيار شبه كامل للبنية الزراعية والاقتصاد الريفي، ما يُنذر بكارثة غذائية وإنسانية واسعة النطاق.

فقد تسببت الحرب في نزوح أكثر من 10 ملايين شخص، يشكّل المزارعون والحرفيون الزراعيون نسبة كبيرة منهم، وفق تقديرات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين. وأدى ذلك إلى تفريغ الحقول من القوة المنتجة، لا سيما في ولايات الجزيرة، النيل الأبيض، القضارف، النيل الأزرق، وكردفان الكبرى، التي كانت تمثّل العمود الفقري للزراعة المروية والمطرية في البلاد.

وقد دخل الموسم الزراعي الصيفي لعام 2025 في ظروف تمويلية هي الأسوأ منذ عقود؛ إذ تراجع التمويل الزراعي الرسمي إلى أقل من 5% من إجمالي التمويل المصرفي، مقارنةً بنحو 15% قبل الحرب. كما أغلق البنك الزراعي أبوابه في عدد من الولايات - منها النيل الأبيض - بسبب انعدام السيولة وتعطّل البنية التشغيلية. وأفاد مزارعون من الجزيرة والقضارف بأن البنك اشترط سداد ديون قديمة تعود لمواسم ما قبل الحرب للحصول على تمويل جديد، ما أجبر عددًا كبيرًا منهم على التوقف عن الزراعة نهائيًا.

وتُفاقم هشاشة النظام المصرفي من هذه الأزمة، حيث تُقدّر نسبة الكتلة النقدية خارج الجهاز المصرفي بأكثر من 90%، في حين يهيمن الاقتصاد الموازي على نحو 85% من النشاط الاقتصادي، وفقًا لتقديرات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

جدير بالذكر أن العلاقة بين البنوك والقطاع الزراعي كانت متوترة حتى قبل الحرب، إذ ظلّت الزراعة تُعامَل كقطاع عالي المخاطر، تُفرض عليه شروط تمويل تعجيزية، ولا تتجاوز مساهمته في المحافظ الائتمانية البنكية 10% في أفضل الأحوال. ومع الحرب، تفاقمت هذه الاختلالات البنيوية، ما

أفرغ المشهد الزراعي من أي دعم مؤسسي حقيقي، وترك المزارعين فريسة لتقلبات المناخ، وارتفاع تكلفة المدخلات، وانهيار الأسواق المحلية.

ونتيجة لذلك، يواجه أكثر من 20 مليون سوداني خطر انعدام الأمن الغذائي الحاد، بحسب تقرير برنامج الأغذية العالمي (WFP) الصادر في يونيو 2025، بينما صنّفت الأمم المتحدة السودان ضمن الدول الأربع الأكثر معاناة من سوء التغذية الحاد عالميًا. وتشير تقارير دولية، مثل تقرير «تشاتام هاوس» (2024)، إلى أن هذا الانهيار الزراعي لا يُعزى فقط إلى الحرب، بل أيضًا إلى غياب استراتيجية وطنية تتعامل مع الزراعة كأولوية سيادية، وليس كقطاع هامشي.

انهيار النظام المصرفي وتراجع التمويل الزراعي في ظل الحرب

مع اندلاع الحرب في أبريل 2023، تفاقمت الأزمة المصرفية في السودان بصورة غير مسبوقة. فقد كانت العاصمة الخرطوم، التي تحتضن ما يقارب 70% من فروع البنوك السودانية والمراكز الرئيسية للمصارف، ساحة المواجهات الأساسية، ما أدى إلى تدمير واسع للبنية التحتية المصرفية، وإغلاق شبه كامل للفروع، وتعطيل أنظمة المقاصة التي انتقلت لاحقًا للعمل من العاصمة الإدارية. ورغم هذا الانتقال، ظل الجهاز المصرفي عاجزًا عن استعادة نشاطه الكامل في مختلف أنحاء البلاد بسبب انتشار النزاع.

تزامنًا مع ذلك، انسحبت البنوك بشكل شبه كامل من مناطق الإنتاج الزراعي، لاسيما في ولايات دارفور وكردفان والنيل الأزرق والنيل الأبيض والجزيرة، مما أدى إلى فراغ تمويلي واسع في القطاعات الإنتاجية الحيوية. وانعكس هذا الوضع على ثقة الجمهور، التي تراجعت إلى مستويات غير مسبوقة، في ظل غياب الخدمات البنكية الأساسية.

لكن الحرب لم تكن السبب الوحيد لهذا الانهيار، بل كشفت عن أزمة بنيوية عميقة كانت كامنة منذ سنوات. فالسودان يُعد من أضعف دول العالم في مؤشرات الشمول المالي، ويعاني من تآكل القاعدة الرأسمالية للبنوك نتيجة التدهور المستمر في قيمة العملة الوطنية، وعجز بنك السودان المركزي عن فرض المعايير الدولية لكفاية رأس المال (مقررات لجنة بازل)، أو إلزام البنوك ببرامج فعالة لإعادة الهيكلة والحوكمة.

البنوك والزراعة: علاقة يغلب عليها الحذر لا الاستثمار

تعكس العلاقة بين البنوك السودانية والقطاع الزراعي غيابًا واضحًا للرؤية التنموية. فالمصارف - سواء كانت حكومية أو خاصة - لا تزال تنظر إلى الزراعة باعتبارها قطاعًا عالي المخاطر، لا قطاعًا استراتيجيًا يجب دعمه وتطويره. ويتجلى ذلك في ضعف التمويل الموسمي، واشتراط ضمانات معقدة لا تتناسب مع أوضاع المنتجين، ومحدودية المحافظ التمويلية المخصصة لهذا القطاع.

وقد انخفضت نسبة التمويل الزراعي إلى أقل من 5% من إجمالي التمويل المصرفي في عام 2024، مقارنة بنحو 15% قبل الحرب، ما شكّل تراجعًا حادًا ألقى بظلاله على الموسم الزراعي وأسهم في تعميق أزمة العجز الغذائي في البلاد.

البنك الزراعي: نموذج مصغّر لعجز الدولة عن دعم الزراعة

كان يُفترض أن يمثّل البنك الزراعي السوداني الذراع التمويلية الرسمية للدولة في دعم المزارعين. لكن واقع اليوم يُظهر مؤسسة مشلولة، فقدت دورها بالكامل، وتعكس بوضوح غياب الإرادة السياسية في إصلاح القطاع الزراعي. يعاني البنك من:

نقص حاد في السيولة، وضعف القدرة على توظيف الموارد في التمويل الإنتاجي.

انعدام الشفافية، وتكرار حوادث الفساد في إدارة التمويل والمخازن.

التدخلات السياسية التي حوّلته إلى أداة إدارية خاضعة، لا مؤسسة مهنية مستقلة.

غياب أي خطة إصلاح مؤسسي مستدامة من الدولة.

وقد وثّق مزارعو الجزيرة والقضارف أن البنك اشترط سداد الديون القديمة كشرط للحصول على تمويل جديد، ما أدى إلى عزوف واسع عن الزراعة. كما وردت تحذيرات في وسائل الإعلام من تأخر تمويل الموسم الزراعي الصيفي، في وقت حرج يهدد بضياع الموسم. ووفقًا لتقارير إعلامية، شهدت بعض الفروع احتجاجات شعبية، بينما كُشف عن حالات فساد مثل اختفاء سماد بقيمة 11 مليار جنيه.

أين يكمن الخلل في التمويل الزراعي؟

يكمن الخلل في غياب الرؤية الاستثمارية للزراعة، حيث تُعامَل كقطاع ذي مخاطرة، وليس كقطاع إنتاجي استراتيجي. كما يغيب عن الدولة وضع

سياسة ائتمانية زراعية موسمية، بينما تعتمد البنوك على صيغ مرابحة قصيرة الأجل لا تناسب الدورات الزراعية.

يُضاف إلى ذلك انعدام البنية المصرفية في الريف، حيث يتمركز نحو 70% من الفروع المصرفية في المدن أو أصبحت خارج الخدمة بسبب الحرب. كما أن ضعف الشمول المالي وضمانات التمويل التعجيزية يشكلان عائقًا كبيرًا، إذ يُقدّر الشمول المالي في السودان بنسبة لا تتجاوز 15%، ما يجعله من أضعف النسب عالميًا، ويُقصي معظم المزارعين من الخدمات المصرفية.

ومن أبرز مظاهر الخلل انهيار البنك الزراعي وفشله في أداء دوره كممول رئيسي، نتيجة الفساد، والتسييس، والعجز المؤسسي، وضعف الموارد الناتج عن غياب اهتمام الدولة بهذا القطاع الحيوي. كما يتمثل الخلل في غياب التكامل بين التمويل، والإنتاج، والتسويق، حيث لا توجد منظومة متكاملة تحمي المزارعين من تقلبات السوق والمخاطر.

تجارب دولية في دعم الزراعة

تُظهر التجارب الدولية أن الزراعة لا يمكن أن تزدهر بالاعتماد على السوق وحده، بل تحتاج إلى تدخل فاعل من الدولة باعتبارها ضامنًا للسيادة الغذائية وميسّرًا للعدالة الاقتصادية.

الولايات المتحدة الأمريكية:

رغم النموذج الرأسمالي، وفرت وزارة الزراعة حزمة متكاملة من برامج الدعم للمزارعين الصغار والمتوسطين، شملت قروضًا صغيرة ميسّرة، تمويل مرافق التخزين، دعمًا للحصول على الشهادات العضوية، وتأمينًا زراعيًا منخفض التكلفة، إلى جانب برامج تسويق مباشر مثل «من المزرعة إلى المدرسة».

الهند:

ارتكزت الثورة الخضراء على تدخل حكومي واسع لدعم الأسمدة والبذور، وتحقيق تسعير مضمون للمحاصيل، إضافة إلى توفير قروض زراعية ميسّرة وخدمات إرشاد مجانية.

البرازيل:

أسهم برنامج «برونافا» في دمج الزراعة الأسرية ضمن الاقتصاد الرسمي عبر قروض ميسّرة، ودعم تقني، وتغطية للمخاطر المناخية، مما أسهم في مضاعفة الصادرات الزراعية.

إثيوبيا:

نجحت في إعادة بناء الريف بعد المجاعة من خلال شبكة وطنية للإرشاد الزراعي، وتوزيع المدخلات المدعومة، وتمويل المشاريع الصغيرة، ما أدى إلى رفع الإنتاجية بنسبة 7% سنويًا بين 2004 و2014.

رواندا:

جعلت الدولة من الزراعة ركيزة لإعادة الإعمار، ووفرت إعفاءات ضريبية، ودعمًا يصل إلى 75% من تكاليف المدخلات، وموّلت المزارعين عبر صناديق ادخار تعاونية.

ما يجمع هذه النماذج، رغم اختلاف السياقات، هو تدخل الدولة الفاعل كمُيسّر، لا تخلّيها عن الزراعة. وتؤكد هذه النماذج أن الدولة حين تنظر إلى المزارع كركيزة للأمن الغذائي، يصبح دعمه استثمارًا في الاستقرار والنمو، لا عبئًا على الميزانية.

الذهب كمورد سيادي لدعم الزراعة

يُنتج السودان أكثر من 100 طن ذهب سنويًا (نحو 3.2 مليون أوقية). وبسعر 2،000 دولار للأوقية، يمكن أن تبلغ العائدات نحو 6.4 مليار دولار سنويًا. لكن ما لا يقل عن 70% من الذهب يُهرّب، مما يعني فقدان أكثر من 4 مليارات دولار سنويًا من العائدات المحتملة.

لو خُصص 30–40% من هذه العائدات لدعم الزراعة، وتم إنشاء صندوق سيادي مستقل لتمويل القطاع الزراعي، فإن ذلك يمكن أن يُحدث نقلة حقيقية في الاقتصاد السوداني، ويعيد التوازن إلى موازنة الإنتاج الغذائي.

خلاصة

إن ما يتهدد الزراعة في السودان ليس فقط الحرب، بل غياب الرؤية التنموية، وانهيار الجهاز المصرفي، وحرمان المزارع من التمويل والدعم. ولا يمكن الحديث عن تعافٍ اقتصادي حقيقي دون معالجة جذرية لهذه الأزمات، وتوظيف الموارد السيادية - مثل الذهب - في خدمة الإنتاج، لا الحرب.

قراءة في التحولات الإقليمية والدولية تجاه السودان

هل يفقد البرهان حلفاء الداخل والخارج في آن؟

عثمان فضل الله

ملخص

في خضم الحرب السودانية التي تجاوزت عامها الثاني، يجد الجنرال عبد الفتاح البرهان نفسه على مشارف عزلة حادة، داخليًا وخارجيًا، بعد أن كان يُنظر إليه كضامن للاستقرار، بات يُتهم اليوم بالتحالف مع قوى إسلامية وإيران، ما أثار قلقًا متزايدًا إقليميًا ودوليًا.

يرى الكاتب أن فك الارتباط مع الإسلاميين نظريًا يمكن أن يكون «قلب الطاولة» هو الخلاص الوحيد، لكن يفتقر إلى «السيطرة الكاملة على الجيش، الثقة الشعبية والدولية، والقدرة على تحمّل انتقام الإسلاميين» .

يؤكد أن البرهان لم يعُد يملك حلفاء حقيقيين، بل شركاء ظرفيين يستعدون للتخلّي عنه عند أول فرصة. تحالفاته الداخلية منهارة، والدعم الخارجي هش، والشارع منقسم، والجيش غير موحد. وما تبقى له ليس سوى «تحالف عزلة» قائم على الخوف والمصلحة المؤقتة.

يخلص إلى إن لم يُبادر إلى تفكيك هذه المعادلة المأزومة، وتقديم تنازلات حقيقية، فإن النهاية قد تكون سقوطًا مدويًا، دون تفاوض أو مخرج، في مشهد يكرر مصائر من ظنّوا أن اللعب على حبال التناقضات الإقليمية يمكن أن يدوم.

في الوقت الذي تتسارع فيه التحولات الإقليمية والدولية، وتتشابك خيوط اللعبة الإقليمية، وتتقاطع المصالح وتختلف الأهداف بين الفاعلين الدوليين، يبدو أن الجنرال عبد الفتاح البرهان يواجه منعطفًا خطيرًا، قد يفقد فيه أهم ما يستند إليه: شبكة الحلفاء، داخليًا وخارجيًا. فبعد أن كان يُنظر إليه من قبل بعض العواصم بوصفه «الصمام الأخير لوحدة السودان»، تتصاعد اليوم أصوات وتحليلات تتهمه بالارتهان لأجندات عابرة للحدود، وتربط بين نظامه وبين قوى مثل إيران وتنظيم الإخوان المسلمين، في تحالف يراه البعض خطرًا داهمًا على أمن المنطقة بأسرها.

فالناظر إلى ما حملته الصحافة العالمية في تناولها للشأن السوداني، يجد ما يشبه الحملة الإعلامية قد انطلقت ضد الرجل. الصحافية الإسبانية ناتاليا كوادروس، وهي صحافية وازنة في الأوساط الإعلامية الأمريكية، كتبت مقالًا طالبت فيه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بإجبار البرهان على التنحي، وحوى المقال نقدًا لاذعًا للبرهان، بل تخطى النقد البرهان ليطال المؤسسة العسكرية بكاملها. أما المقالة التي نشرتها «جيروزاليم بوست» للكاتب والمحلل السياسي الأمريكي ذائع الصيت نيجر إينيس، الذي يرأس مؤتمر المساواة العرقية في أمريكا، وهو أيضًا المؤسس المشارك لمنظمة أمريكا الجديدة؛ هذه المقالة تُعد سنام هذه الحملة، وتمثل صدى واضحًا لتحول في المزاج الغربي والإقليمي تجاه البرهان. فبينما كان يُقدَّم في السابق كجزء من معادلة الاستقرار ومكافحة الإرهاب، يُرسم اليوم في تلك المقالات كـ«واجهة لإعادة تدوير مشروع الإخوان المسلمين»، و«بوابة خلفية للتغلغل الإيراني في أفريقيا.»

هذه النبرة الجديدة لا تأتي من فراغ. منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023، أُثيرت تساؤلات متكررة حول طبيعة التحالفات التي نسجها الجيش السوداني، وعلى رأسها العلاقة المعقدة مع بقايا الحركة الإسلامية، التي ظهرت جلية في طريقة إدارة حكومة بورتسودان، وفي حملة التعبئة العقائدية التي تقوم بها قيادات مؤدلجة داخل القوات المسلحة. ومع تزايد الأدلة - وبعضها مؤيد بتقارير استخباراتية وتسريبات إعلامية - عن زيارات سرية لمسؤولين إيرانيين، وإشارات إلى دعم عسكري مشبوه، بات القلق الغربي مبررًا.

في هذا السياق، تُطرح تساؤلات حقيقية:

هل تحوّل البرهان إلى حصان طروادة لإعادة بعث محور إيران - الإخوان في شرق أفريقيا؟

وهل تسكت إسرائيل والولايات المتحدة والسعودية على جبهة جديدة تهدد مصالحها في البحر الأحمر؟

على الضفة الأخرى من المعادلة، تبدو العلاقة مع القاهرة قد دخلت طورًا من الجمود. فمصر التي كانت في السنوات الماضية تدعم الجيش السوداني كخيار مفضل على حساب قوى التغيير المدني، باتت اليوم تتصرف ببرود واضح.

التسريبات عن امتعاض مصري من تعيينات عسكرية ذات طابع إسلامي داخل منظومة الجيش، والضيق من محاولات توظيف الورقة المصرية من قبل الإسلاميين

في دعايات الحرب، تشير إلى أن القاهرة لم تعد ترى في البرهان الضامن الموثوق. بل هناك من يرى أن مصر باتت تتخوف من أن يتحول السودان إلى ساحة حرب بالوكالة - لا ضد الدعم السريع فحسب، بل ضدها هي أيضًا، في حال تحالف البرهان فعلًا مع طهران. فالمصريون الذين يعتبرون الأمن في السودان امتدادًا لأمنهم القومي، لا يمكنهم القبول بسيناريو تُسيطر فيه إيران على موطئ قدم في بورتسودان، أو أن تمر شحنات السلاح الإيراني عبر الشرق نحو عمق أفريقيا.

تناقضات الداخل:

أما داخليًا، فالمعادلة لا تقل تعقيدًا، فالتحالف الهش الذي يستند عليه النظام في بورتسودان، القائم على تحالفات مع حركات دارفور وبعض الإسلاميين، وقليل من المستنفرين الغاضبين بدأ يتآكل، في وقت تنامت فيه مظاهر السخط الشعبي في مناطق نفوذ الجيش، نتيجة تدهور الأوضاع الإنسانية، وغياب مشروع سياسي واضح لما بعد الحرب.

من جهة أخرى، بات «حلفاء اليوم» من الحركات المسلحة، يتذمرون من تهميشهم لصالح فلول النظام السابق، بل وصل الأمر إلى التلويح بتفكيك الشراكة والدخول في مواجهة عسكرية، يبدو أن الجيش بدأ يتحسب لها فعليًا من خلال تسمين مليشيات موازية ومنحها أدوارًا إعلامية ومجتمعية بصورة لافتة.

كل هذا يجري في ظل خطاب رسمي بات متضاربًا: فبينما يتحدث البرهان في المحافل الدولية عن «الانتقال المدني» و«الالتزام بالشرعية»، يُسمع في خطاباته الداخلية نبرة تعبئة دينية وحشد عقائدي ضد ما يسميه «مشروع التمكين الجديد»، في إشارة لقوى الثورة.

من كل ذلك لا يدخل في حيز المبالغة القول إن البرهان يقترب من مرحلة فقدان الغطاء الدولي والإقليمي - وهي مرحلة لم تنجُ منها أنظمة كثيرة قبله في تاريخ السودان والمنطقة. وفي غياب رؤية مدنية مقنعة، واستمرار التحالف مع فلول الإسلاميين، وتزايد الشكوك حول ارتباطات خارجية مثيرة للقلق، يبدو أن الرجل يراكم الخسائر أكثر من المكاسب. قد تكون الحرب هي ما أبقته حتى اللحظة، لكنها نفسها قد تصبح السبب في سقوطه، إذا ما تحولت إلى عبء على مصالح قوى كبرى لم تعد تجد في بقائه فائدة.

السؤال لم يعد «هل يفقد البرهان حلفاءه؟»، بل «من تبقى ليقف بجانبه؟»

في ضوء ما سبق من مؤشرات على تآكل الحاضنة الداخلية وتراجع الدعم الإقليمي والدولي، يمكن القول إن قائمة الحلفاء الذين لا يزالون إلى جانب عبد الفتاح البرهان تزداد ضيقًا، وهي تنحصر اليوم في أطراف إما مضطرة ظرفيًا أو مرتبطة بمصالح قصيرة الأمد، لا بمشروع استراتيجي طويل النفس.

الإسلاميون

يظل أبرز من يقف إلى جانب البرهان داخليًا هو ما تبقى من منظومة الإسلاميين، سواء من داخل المؤتمر الوطني أو من الحلقات العسكرية المرتبطة بهم، وهذا الحليف في جوهره عبء أكثر من كونه سندًا، فهو يعزّز من عزلة النظام خارجيًا، خصوصًا مع ربطه بالإرهاب والتطرف، ويفاقم الصدع الداخلي ويؤجج النزعة الثأرية لدى قوى الثورة، ويضعف الثقة في أي انتقال محتمل.

ومعلوم أن الإسلاميين يدافعون عن البرهان ليس حبًا فيه، بل باعتباره الفرصة الوحيدة لإعادة تدوير نفوذهم. ولذا فإن دعمهم مشروط ببقائه في السلطة، وسيتبدد لحظة يشعرون بإمكانية الدفع بمرشح أكثر إخلاصًا لهم.

الحركات

تحالف البرهان مع بعض الفصائل المسلحة في دارفور (مثل حركتي مناوي وجبريل) لا يقوم على مشروع وطني، بل على موازنات نفوذ وامتيازات اقتصادية وسياسية، لكن سيطرة الإسلاميين على مفاصل الحكم، وشبقهم المتزايد للسلطة جعلهم يحاولون دق الأسافين بين البرهان، أو قل المؤسسة العسكرية والحركات، فبات هذا الحلف «المنفعي» يشهد تصدعات طفت إلى السطح في الأيام الماضية بإعلان الحركات تذمرها من التهميش داخل مؤسسات اتخاذ القرار، كذلك تصاعد الخطاب الإسلامي الذي يخالف المزاج العلماني لبعض الفصائل جعل منسوبيها في حرج واضح مع قواعدهم، أيضًا عملق الشعور عندهم بأن النظام يستخدمهم كغطاء سياسي فقط، وباتت هذه الحركات تتحسس موقع أقدامها وصار رهانها على الجيش يضعف يومًا بعد الآخر.

لذا يمكن القول إن تحالفات البرهان الداخلية لن يبقى معه منها إلا بعض منسوبي النظام البائد، والقليل من رجال الأعمال المستفيدين من استمرار الحرب، والقليل من مليشيات المستنفرين الغاضبين، والكثير من العنصريين أصحاب المشروع الانفصالي التقسيمي.

خارجيًا يمكن القول إن بعض الأنظمة المجاورة التي تخشى من فوضى الحرب، مثل إرتريا، لا تزال تتعامل مع البرهان كأمر واقع. لكن هذا التعامل لا يرقى إلى

مستوى «الدعم الحاسم»، بل هو أقرب إلى التنسيق الأمني المشروط، وقد يتغير في أي لحظة. خسر البرهان في وقت مبكر دولة الإمارات العربية المتحدة كحليف «سخي»، فرغم أن بعض التحليلات كانت تتوقع دعمًا إماراتيًا للبرهان، فقد حدث العكس واختارت أبو ظبي الاصطفاف بوضوح خلف قوات الدعم السريع، وإن لم تعلن ذلك رسميًا. غياب الإمارات من قائمة الحلفاء التقليديين للجيش السوداني يُعد ضربة مؤلمة للبرهان، خصوصًا في ظل تأثيرها المالي والدبلوماسي. الدعم المصري كما أسلفنا لم يعد كما كان ولكن الواضح أيضًا أنه لن ينقطع، لكنه لن يتطور إلى تدخل مباشر، بل سيبقى في شكل تسهيلات لوجستية، تدريب، تطبيب وربما دعم استخباراتي، ما لم تتعرض مناطق الشمال السوداني لمخاطر حقيقية أو ينهار الجيش تمامًا. السعودية لن تقطع علاقتها مع البرهان، لكنها لن تمنحه شيكًا على بياض، إذا استمرت الحرب وازداد التدهور الاقتصادي والإنساني، قد تدعم حلًا توافقيًا يُقصي البرهان جزئيًا، أو يضعف من سلطته، خصوصًا إذا ضمنت عدم سيطرة الدعم السريع على البلاد، أو تنفذه فيها، فالسعودية بالأساس لا تثق في الإسلاميين السودانين، كما أن تحالف البرهان مع طهران التي تخوض حربًا في اليمن عبر الحوثيين ضدها يجعل الرياض تتبنى سياسة «موازنة اللاعبين» في السودان، فهي أبقت على خطوط التواصل مع الجيش والدعم السريع مفتوحة في وقت واحد.

إذًا الدعم المصري والسعودي وكذلك الإرتري للبرهان لن يمضي بذات الوتائر التي كانت في السابق، وتوجد احتمالات لانقطاعه في ظل إصرار البرهان على الاستمرار في تحالفاته التي تتناقض والمصالح الاستراتيجية لتلك الدول، فخارجيًا لن يتبقى للبرهان داعمٌ ثابتٌ سوى قطر وتركيا، فالدولتان ستظلان داعمتين للبرهان طالما يمثل الجيش واجهة لمن تعتبرهما حلفاء - الإسلاميين، لكنهما لن تقاتلا من أجله، ولن تضعا ثقلهما السياسي أو المالي في حرب لا تريان فيها مصلحة مباشرة.

إذًا من تبقى إلى جانب البرهان اليوم ليسوا حلفاء حقيقيين، بل شركاء ظرفيين، بعضهم يتهيأ للقفز من المركب عند أول فرصة. لا مصر، ولا السعودية، ولا حتى قطر وتركيا ولا الغرب، ولا الشارع السوداني، ولا حتى جزء معتبر من الجيش نفسه يبدو مستعدًا للذهاب معه إلى ما بعد هذه الحرب. ما تبقى له هو «تحالف عزلة»:

فلول نظام سابق ملاحق شعبيًا ودوليًا.

حركات انتهازية فقدت جمهورها.

دعم من أطراف تُراهن على بقائه لتأخير سقوطها.

وهذا النوع من التحالفات لا يصمد طويلًا في وجه المتغيرات. والوقت - كما يبدو - ليس في صالح البرهان.

الحلول

هل أمام البرهان فرص معلومة في السياسة، كما في السير على الحبال؟ يمكن للبراعة أن تؤجل السقوط، لكنها لا تمنعه إلى الأبد. والجنرال عبد الفتاح البرهان، الذي ظل لسنوات يناور بين العواصم المتضادة، ويسترضي الخصوم دون أن يقطع مع أي منهم، يجد نفسه اليوم في زاوية ضيقة، يحيط بها الحلفاء المنكفئون، والخصوم المتربصون، والجمهور الغاضب. في السابق، كان يمكن للبرهان أن يقدّم تنازلات شكلية ويضمن بقاءه شريكًا في السلطة عبر «تسوية سياسية» تُنهي الحرب في أيامها الأولى، وتحافظ على مقدرات البلاد وممتلكات الشعب، أما اليوم، فإن معظم القوى المدنية، بل حتى بعض الدول الراعية للعملية السياسية، لم تعد ترى فيه طرفًا مؤهلًا لأي حل دائم.

ثمة من يعتقد أن مخرج البرهان الوحيد قد يكون في «قلب الطاولة»: أي إعلان فك الارتباط مع الفلول، وإطلاق حملة تطهير حقيقية داخل الجيش ومؤسسات الدولة، وربما حتى القبول بانتقال مدني كامل مقابل ضمانات بعدم الملاحقة، لكنّ هذا السيناريو محفوف بالعوائق، وأولها هل يملك البرهان فعليًا السيطرة الكاملة على مفاصل الجيش؟ وهل يمكنه النجاة من رد فعل الإسلاميين الذين حموه في أحلك لحظاته؟ وهل يمكن للشارع أن يصدقه بعد كل ما حدث؟

الخيار الوحيد الذي لا يزال البرهان يراهن عليه هو استمرار هذه الحرب، ويمكن أن تقول حالة اللا حرب واللا سلم، لكن حتى هذه الورقة تحولت إلى فخ قاتل، فالحرب تجاوزت عامها الثاني دون تقدم حاسم، حتى داخل معسكره، تشهد أكثر المناطق اضطرابًا ونزوحًا وتمردًا ناعمًا، وفقدان سلطة الدولة لعامل السيطرة عليها، أيضًا الدعم اللوجستي والعسكري بدأ يتراجع، مع انخفاض شهية الحلفاء الخارجيين لتمويل حرب طويلة الأمد.

خلاصة القول

البرهان لا يزال يملك بعض الأدوات - لا لأنه قوي، بل لأن خصومه لم يتوحدوا بعد لكن الزمن ضده والتحالفات التي شيدها بدأت تتآكل من الداخل، والهامش يضيق في وجهه إذا لم يبادر بنفسه إلى تفكيك المعادلة التي صنعها، وإذا لم يتخلّ عن حلم البقاء بأي ثمن، فإن المشهد يمضي نحو خاتمة مرجّحة سقوط بلا تفاوض، وعزلة بلا مخرج، ونهاية تشبه كل نهايات من ظنوا أن اللعب على رؤوس الأفاعي يمكن أن يدوم.

«كرامة».. حل المليشيات أم إعادة إنتاجها؟

ملخص

تحوّلت الحرب السودانية، التي انطلقت تحت شعار «الكرامة» من أجل تفكيك مليشيا الدعم السريع، إلى أداة لإنتاج المزيد من المليشيات، حتى باتت «الملشنة» ظاهرة متفشية تهدد وحدة الدولة وأمن المجتمع.

تنتشر الفوضى في مختلف أقاليم السودان، من معارك مسلحة في الأعراس إلى مليشيات تدّعي الانتماء للجيش، لكنها تمارس القمع والانفلات الأمني ذاته الذي اتُهمت به قوات الدعم السريع. الأخطر، أن بعض عناصر الدعم باتوا جزءًا من مليشيات جديدة مثل «درع السودان»، بعد تغيير اسم الزي فقط.

في مفارقة مؤلمة، تُطالب الدولة بتجريم الدعم السريع كمليشيا، بينما تشرف بنفسها على تفريخ عشرات المليشيات الأخرى، بعضها بتدريب خارجي في إرتريا، ما يعكس تناقضًا خطيرًا في الرؤية والممارسة.

يحذّر التقرير من أن السودان يقف اليوم بين خيارين: دولة مؤسسات مدنية وجيش موحد، أو لا دولة تحكمها المليشيات، وفي الحالتين، فإن المواطن هو الضحية، و«الكرامة» التي رُفعت شعارًا للحرب قد تتحوّل إلى مجرد عنوان ساخر لحقبة من الفوضى المنظمة.

منذ اللحظات الأولى لاشتعال الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع في الخرطوم، منتصف أبريل 2023، خرج قائد مليشيا «البراووَن» - المرتبطة ببعض مكونات النظام البائد - مبشرًا بنهاية الدعم السريع، واعدًا برفع «التمام» للقائد العام خلال ست ساعات فقط.

لكن، وبعد أكثر من عامين على الحرب، لا تزال الحقيقة مغايرة تمامًا. إذ ما تزال المليشيات تتكاثر بشكل شبه يومي، كأنما الحرب السودانية تلد مع كل صباح مليشيا جديدة، يعيد فيها التاريخ إنتاج مآسيه على حساب أرواح وممتلكات المواطنين.

في مشهد يجسد هذا العبث، كتب شخص يُدعى يس الطيب البشير، على صفحته بموقع «فيسبوك»، معرفًا نفسه كقائد لـ«حركة شجعان بحر أبيض»، معلنًا فتح باب التجنيد والتدريب للحركة، داعيًا المهتمين للتواصل معه «في الخاص» لمعرفة مكان المعسكر، ومبشرًا بتسليم «النمرة العسكرية» عقب 45 يومًا من التدريب. مشهد يبدو هزليًا للوهلة الأولى، لكنه واقعي تمامًا في سودان ما بعد الحرب، حيث المليشيات لم تعد استثناء بل قاعدة.

تفريخ المليشيات

يزيد من مرارة الواقع أن الحرب، التي وصفت في بدايتها بأنها «حرب كرامة» هدفها المعلن حل مليشيا الدعم السريع واستعادة هيبة الدولة، انتهت إلى إنتاج عشرات المليشيات الجديدة.

كان شعار «حل المليشيات» أحد شعارات ثورة ديسمبر، وتبنته القوى المدنية لبناء جيش وطني واحد يمهد الطريق لتحول ديمقراطي حقيقي. لكن ما يحدث اليوم، بعد دخول الحرب عامها الثالث، يعكس انقلابًا تامًا في هذا المسار.

فالساحة السودانية باتت تعج بمليشيات مسلحة، صنعت لمواجهة الدعم السريع، وتغذت على ذات البيئة السياسية التي أنجبت «الدعم» نفسه قبل سنوات، حين استُخدم ضد الحركات المسلحة. اليوم لا يكاد يخلو إقليم سوداني من وجود مليشيا مناطقية أو قبلية، حتى شرق السودان. الذي ظل أقل اشتعالًا، يقف الآن على فوهة بركان قابل للانفجار في أي لحظة.

حميدتي.. النموذج يتكرر

بعيدًا عن الجدل حول «الحاضنة» التي تفرّخ هذه الكيانات، ثمة من يرى أن نشوء بعضها يعود إلى دوافع موضوعية. فالمناطق التي استباحتها قوات الدعم السريع، خاصة في الجزيرة وسنار، شهدت تشكيل مليشيات مناطقية بدافع «الغبينة» والانتقام الشخصي، في ظل غياب الجيش وفشله في توفير الحماية.

وفي المقابل، هناك مجموعات تستنسخ تجربة محمد حمدان دقلو (حميدتي)، الذي صعد من قيادة مليشيا قبلية إلى مراكز النفوذ والثروة، مدفوعًا بالبندقية لا بالكفاءة. تحاول هذه الجماعات اليوم محاكاة المسار ذاته: بناء مليشيا، تأمين حضور قبلي، ثم المطالبة بنصيب في السلطة. وقد أعلنت بالفعل مليشيات مثل «درع السودان»، و«البراؤون»، و«الكتائب الثورية» عن مشاركتها في حكومة رئيس الوزراء كامل إدريس، رغم أن أغلبها لم يأتِ من صناديق الانتخابات بل من فوهة البندقية.

البندقية تمنح الشرعية

الحرب التي اندلعت لحل مليشيا واحدة، تحولت إلى مسرح لانفلات المليشيات، لأن «المشنة» أصبحت أقصر الطرق إلى السلطة. الصراع بين الجيش والدعم السريع لم يكن معركة لبناء جيش وطني، بل صراعًا على السلطة بوسائل عنيفة.

وكما أن الدعم السريع تحوّل من مليشيا إلى قوة تفاوضت على موقعها السياسي، فإن المليشيات الجديدة ترى في نفسها ذات الحق.

تجربة «حركات جوبا» التي وضعت سلاحها في خدمة السلطة مقابل وزارات وثروات، شجعت عشرات الجماعات على سلوك ذات الطريق. أصبح السلاح وسيلة للحصول على الأموال والمناصب، ودرعًا يحمي من القانون في ظل غياب مؤسسات عدلية مستقلة. الصراعات بين الجيش والحركات المسلحة حول وزارات مثل المالية والمعادن، تقدم نموذجًا صارخًا على هذا الواقع.

الدولة في مهب الفوضى

في ود مدني، عريس يقضي ليلة زفافه في الحبس بسبب إطلاق نار في حفل الزفاف. وفي مدينة «الدبة» بالشمالية، دارت معركة ضارية بين مجموعتين قبليتين، استخدم فيها السلاح الثقيل والخفيف.

وفي الولاية ذاتها، تنتشر شكاوى عن «مليشيا أولاد قمري»، التي تضم مجرمين سابقين، وتبث الرعب وسط المدنيين، خاصة مع ارتباطها بقيادات عسكرية وأجهزة استخبارات.

وما يزيد المشهد عبثًا، أن عناصر من الدعم السريع تحولوا إلى «درع السودان»، مغيرين زيهم فقط، دون أن يغادروا ذات النهج، ويمارسون القمع باسم الجيش هذه المرة.

في سودان المليشيات، يمكنك أن تعتقل وتقتل وتختفي، دون مساءلة، لأن الجندي هو القاضي والجلاد معًا.

هل من حل؟

المفارقة القاتلة أن الدولة، التي تطالب بتصنيف الدعم السريع كمليشيا متمردة، تشرف في الوقت ذاته على تشكيل مليشيات جديدة.

يخرج سياسيون دون خجل ليعلنوا عن تدريب 50 ألف شاب من الشمالية في إرتريا، دون أي اعتراض رسمي. الأخطر أن المليشيات اليوم ليست فقط قبلية أو جهوية، بل أيديولوجية أيضًا.

ويحذر مراقبون، من بينهم المحللة المصرية أماني الطويل، من خطورة هذه المسارات، مؤكدة أن أي حل يجب أن يبدأ بتحرر الجيش نفسه من المليشيات المرتبطة بالحركة الإسلامية، باعتبارها الراعية الأولى لتفريخ الفوضى في السودان.

الدولة أو اللا دولة

السودان اليوم يقف على مفترق طرق: إما دولة تحكمها مؤسسات، أو لا دولة تحكمها المليشيات. وبين هذا وذاك، يضيع المواطن، وتهدَر الكرامة التي كانت شعار الحرب.

فهل ستبقى «الكرامة» مجرد اسم لحرب أعادت إنتاج المليشيات بدلًا من تفكيكها؟ أم يمكن بعد كل هذا الخراب، أن تنبت بذرة الدولة من ركام البندقية؟

زمن الميليشيات

طاهر المعتصم

ملخص

يرى الكاتب أن أخطر ما يهدد السودان اليوم، بعد الحرب والانقسام، هو التزايد المقلق في أعداد المليشيات المسلحة، والذي ينذر بظهور أمراء حرب، وفقدان الدولة لاحتكارها للسلاح وقرار الحرب والسلم.

ويشير إلى أن اتفاق جوبا للسلام لم ينجح في تنفيذ أحد أهم بنوده، وهو دمج وتسريح المليشيات المسلحة، ويُستثنى من هذا الفشل جزئيًا الحركة الشعبية/ شمال (قيادة مالك عقار)، بينما انشغلت بقية الحركات بالمناصب السياسية بدلاً من الالتزام بالإصلاح الأمني.

ويوضح أن بداية تفشي ظاهرة المليشيات الجديدة جاءت مع تشكيل تمازج أثناء مفاوضات جوبا، كأداة للتقرب من السلطة، مما فتح الباب أمام تكوينات مشابهة بعناوين مختلفة .

يختم الكاتب بسؤال جوهري حول إمكانية احتواء هذا الانفلات وبناء جيش وطني محترف وموحد، يحتكر السلاح ويحمي البلاد من خطر التقسيم والانهيار التام، في ظل تعدد المليشيات والولاءات.

أخطر ما يمر به السودان بعد تهديد وحدته، هو تناسل المليشيات، وفشل برامج الدمج والتسريح، بعد أن أذاقت مليشيا واحدة أطلقها المعزول (البشير)، أهل السودان كل مُر، وجعلت كثيرًا منهم ما بين نازح ولاجئ.

كان الفشل في تنفيذ اتفاقية جوبا، والجزء الخاص بعمليات دمج وتسريح المليشيات المتمردة سابقًا قبل توقيع الاتفاق، مليشيات بعضها ذات امتداد في ليبيا، لم ينجح أحد منهم في الدمج والتسريح إلا الحركة الشعبية شمال قيادة (عقار)، بينما بقيتها تتصارع في الحصول على مناصب المالية والمعادن والضمان الاجتماعي.

ومن رحم المستقبل، أعلن محمد سيد أحمد، الشروع في تدريب 50 ألف مقاتل، في دولة إرتريا الجارة، أسوة ببعض المليشيات التي تلقت تدريبها هناك، ولا أحد يدري لماذا لا يتدربوا تحت إمرة الجيش السوداني.

يوم الجمعة الماضي صدر بيان عن ثلاث مليشيات وصفت تحالفها بالخطوة التاريخية، إذ أعلنت ما تطلق على نفسها قوات رماة الحدق عن تحالف جديد واستراتيجي مع قوات (درع السودان) بقيادة أبو عاقلة كيكل، وذلك عقب الاجتماع الذي انعقد يوم الجمعة بحضور قيادات الطرفين، وعدد من رموز الكيان النوبي، الغريب وصفهم هذا التحالف بأنه لا يمثل مجرد اتفاق، بل هو إعادة رسم لخارطة القوة والانضباط والتكامل الميداني، ويشمل إطلاق برامج تدريب نوعي في الأسلحة الخفيفة والثقيلة، المسيّرات الحديثة.

وجه الغرابة في أن البيان المذيل باسم الناطق الرسمي لرماة الحدق، لم يرد فيه أي عبارة توضح إنهم تحت إمرة القوات المسلحة السودانية.

موظف سابق بالزكاة، انضم لمليشيا في شمال السودان، تجري محاكمته في قضية محولات كهربائية، مجموعات مسلحة تنشط في طريق المثلث الحدودي، يتم استخدامهم لكبح جماح بعض مجموعات مليشيات جوبا (المشتركة) في شمال السودان، على صعيد آخر صراع ما بين أفراد من قبيلة الكبابيش والهواوير.

كانت صناعة مليشيا (تمازج)، خلال مفاوضات الاتفاق مع الحركات المسلحة في (جوبا) عاصمة جنوب السودان، هي بداية تدشين المليشيات الجديدة للقرب من السلطة، يستطيع المراقب إحصاء عشرات التكوينات شبه العسكرية في الوقت الحالي.

غافل من ظن أن صناعة المليشيات وتناسلها، لا يؤدي إلى واقع أمراء حرب، وأن لا يتم اختراق خارجي واستخدام بعضهم مخلب قط. هل من المستطاع حسم مراكز القرار المتعددة، وهل في مقدرة صناع المليشيات وموقعي الاتفاقيات إنهاء حالة تكاثر المليشيات السودانية، وأن يكون هناك جيش وطني واحد محترف، يحتكر السلاح.

حينما تصبح قاعات الامتحان ميادين صمود

حيدر المكاشفي

ملخص

منذ الأيام الأولى للحرب، بدا واضحًا لكل ذي بصيرة، عدا مشعلي الفتنة من الفلول وقيادات الجيش المتحالفة معهم، أن استمرار الحرب سيقود البلاد إلى هاوية الخراب، وكل يوم تمضي فيه هذه المعركة المجنونة، يعني اتساع رقعة الدمار، وتضاعف المعاناة، وخسارة ما تبقى من وحدة البلاد.

تجري امتحانات الشهادة السودانية للعام الثاني على التوالي وسط نيران الحرب، وسط انقسام إداري وجغرافي، حيث تتولى سلطات بورتسودان تنظيم الامتحانات في مناطقها، فيما تدير قوات الدعم السريع العملية نفسها في المناطق التي تسيطر عليها، في مشهد يعكس حجم التصدع في جسد الدولة.

يؤكد الكاتب أنه رغم الجهود المبذولة، إلا أن العملية التعليمية باتت خارج أولويات الأطراف المتصارعة، تحوّلت المدارس إلى ثكنات، وتحوّلت سلامة الطالب إلى مسؤولية شخصية .

و آلاف الطلاب حُرموا من الجلوس للامتحانات، بعضهم بسبب التهجير، وآخرون لانعدام الأمن، أو فقدان الأوراق الثبوتية، أو لأنهم يقيمون ببساطة في «الجهة الخطأ» من خط التماس.

يخلص الي أن التعليم، الذي لطالما مثّل صمام الأمان لأي مجتمع خارج من الحرب، أصبح في السودان من ضحاياها المباشرين، مهددًا بخسارة جيل بأكمله، ليس فقط أكاديميًا، بل على مستوى القيم والانتماء الوطني.

منذ الأيام الأولى للحرب، كان واضحًا لكل ذي بصر وبصيرة فيما عدا مشعلي الحرب من الكيزان وفلولهم، والمستفيدين من نظامهم وقيادات الجيش المتحالفة معهم، أن تطاول أمد هذه الحرب سيؤدي إلى نتائج كارثية مهلكة على البلاد والعباد، وأن كل يوم يمر على الحرب يعني المزيد من الخراب والدمار والضحايا وتوسع رقعة الحرب وجغرافيتها، وهذا ما حدث بالفعل الى أن وصلت الكارثة الآن إلى ما يهدد وحدة البلاد وينذر بتقسيمها وتفتيت كيانها الحالي.. فبعد مرور حوالي العامين ونصف العام على الحرب أضحى خطر تفكيك البلاد وتقسيمها ماثلاً، تجسده مجموعة من سياسات حكومة بورتسودان من جهة ومجموعة (تأسيس) من الجهة الأخرى، وتغذيه جملة من الممارسات يأتي على رأسها خطاب الكراهية الجهوي والعنصري، الذي أحدث زلزلة في النسيج الاجتماعي بما يهدد الوجدان الوطني والتماسك المجتمعي والسلام الاجتماعي بالتدابر والتباغض والتباعد والانقسام، وعززت هذا الخطر الماحق وجعلته واقعًا معاشًا، ما اتخذته سلطة بورتسودان من سياسات تمثلت في قرار تغيير العملة الذي فرض على الولايات التي تقع تحت سيطرة الجيش التعامل بعملة مختلفة عن تلك التي يتم تداولها في مناطق سيطرة الدعم السريع. وكذلك كان قرار إجراء امتحانات الشهادة السودانية في الولايات التي يسيطر عليها الجيش وعدم قيامها في الولايات التي يسيطر عليها الدعم

السريع، إضافة إلى عدم استطاعة قطاعات واسعة من الشعب السوداني استخراج الأوراق الثبوتية، بل وحرمان البعض منها لأسباب سياسية وجهوية، وقد أدت هذه السياسات الممنهجة والمتعمدة إلى تكريس واقع الانقسام القائم أصلًا بسبب الحرب التي تقاسم طرفاها السيطرة على أجزاء البلاد، فقد قسمت الحرب السودان إلى جزئين، جزء في غرب السودان في دارفور وكردفان، وهو تحت سيطرة ونفوذ قوات الدعم السريع التي تسعى الآن بخيلها ورجلها للسيطرة على الفاشر، لتبسط نفوذها بالكامل على إقليم دارفور الذي يساوي مساحة دولة فرنسا وتنفرد به ملكية خالصة لها، وجزء آخر في شرق السودان في كسلا والقضارف والبحر الأحمر، وشمال السودان في نهر النيل والشمالية تحت سيطرة ونفوذ الجيش، في تجسيد عملي على الأرض لما يسمى دولة النهر والبحر أو قل النسخة المحدثة والمطورة لما يعرف بمثلث حمدي، وأصبحت المناطق تحت سيطرة الدعم السريع تتبع لها بالكامل عسكريًا وإداريًا، وشكلت فيها مجالس للحكم خاصة بها دون أي وجود للحكومة فيها، وقد مثلت هذه الخطوات البداية الفعلية لتقسيم البلاد، وللأسف تسعى بعض القوى السياسية والحركات المسلحة المكونة لجماعة (تأسيس) بزيادة الطين بلة لتكريس واقع التقسيم، بعزمها على إنشاء حكومة موازية والتمهيد لذلك بإعلان تشكيل الهيئة القيادية للجماعة.

تنعقد هذه الأيام امتحانات الشهادة السودانية للمرة الثانية في ظل الحرب المستعرة التي دخلت عامها الثالث، حربٌ مزّقت البلاد وقسمت خريطته الجغرافية، وأعادت رسم خطوط التماس بين القوى المتصارعة. وفي قلب هذا الجحيم، تقدّم آلاف الطلاب للجلوس لامتحانات مصيرية وسط ظروف استثنائية، بينما حُرم آلاف آخرون من هذا الحق لأسباب شتى، على رأسها أن بعضهم يعيشون في مناطق سيطرة الدعم السريع، وبعضهم بسبب التهجير أو انعدام الأمن أو تعطل الخدمات الأساسية. ولم تكن الامتحانات هذه المرة هي الأولى التي يتحدى فيها الطلاب وذووهم الظروف السياسية والأمنية القاسية، لكن هذه الدورة تحديدًا تكشف حجم التصدع العميق الذي أصاب جسد الدولة السودانية. فبعض المناطق مثل المرة الفائتة تشهد امتحانات بترتيب من سلطات بورتسودان، وأخرى تحت إدارة قوات الدعم السريع (السلطة الفعلية في مناطق سيطرتها)، في مشهد يعكس حجم الانقسام الجغرافي والسياسي الذي بات يتحكم في كل تفاصيل الحياة اليومية.

ورغم الجهود المبذولة لإقامة الامتحانات، إلا أن المشهد العام يوحي بأن العملية التعليمية لم تعد أولوية لدى الأطراف المتصارعة. فسلامة الطالب باتت مسؤولية فردية، والبيئة المدرسية تحولت إلى منطقة خطر دائم، والبنية التحتية لمعظم المدارس انهارت أو تحولت إلى ثكنات عسكرية. الوجه الآخر للأزمة يكمن في آلاف الطلاب الذين وجدوا أنفسهم خارج دائرة التعليم قسرًا. هناك ولايات كاملة لم تُعقد فيها الامتحانات بسبب العمليات العسكرية المستمرة، وهناك طلاب فقدوا منازلهم وأوراقهم الثبوتية وحتى مدارسهم، فضلًا عن الذين فرّوا إلى دول الجوار أو إلى ولايات بعيدة ولم يتمكنوا من الالتحاق بمراكز الامتحانات. هذا الواقع يخلق جيلًا من المنقطعين قسرًا الذين سيتحولون مع مرور الوقت إلى قنبلة موقوتة في جسد المجتمع السوداني، شباب بلا شهادات، بلا مهارات، وبلا مستقبل واضح. هذه الفئة ستكون الأكثر عرضة للانخراط في مسارات العنف والتجنيد في صفوف المليشيات أو الدخول في دوائر الجريمة المنظمة أو الهجرة غير النظامية. ولطالما كان التعليم صمام الأمان في المجتمعات الخارجة من الأزمات، وهو المفتاح لأي مشروع وطني للنهوض وإعادة الإعمار. لكن في الحالة السودانية مع الحرب، صار النظام التعليمي نفسه واحدًا من ضحايا الحرب، ما يعني أن البلاد تخاطر بفقدان جيل كامل، ليس فقط على المستوى الأكاديمي، بل على مستوى القيم والانتماء الوطني أيضًا. فاستمرار الحرب وتعطل العملية التعليمية بهذه الصورة سيؤدي إلى ضعف في الكوادر الوطنية، ويُعمّق أزمة نقص الكفاءات، كما سيؤثر سلبًا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية على المديين المتوسط والبعيد. فكيف يمكن لدولة أن تتعافى إذا كان جيل المستقبل بلا تعليم وبلا فرص؟ إن الأزمة الراهنة تفرض على القوى السياسية والمدنية أن تنظر إلى التعليم كأولوية قصوى في أي عملية تفاوض قادمة. يجب أن تكون هناك ضمانات حقيقية لحماية حق الطلاب في التعليم بغض النظر عن مناطق سكنهم أو القوى المسيطرة عليها. كما أن المجتمع الدولي مطالب بأن ينخرط بفعالية لدعم العملية التعليمية في السودان كجزء من استجابته الإنسانية، لا أن يكتفي بتقديم الغذاء والدواء فقط. المسألة اليوم تتجاوز امتحان شهادة إلى امتحان مصير أمة بأكملها. فإما أن نستدرك الأمر ونحفظ ما تبقى من هذا الجيل، أو نترك البلاد تسير بثبات نحو مستقبل أكثر قتامة.

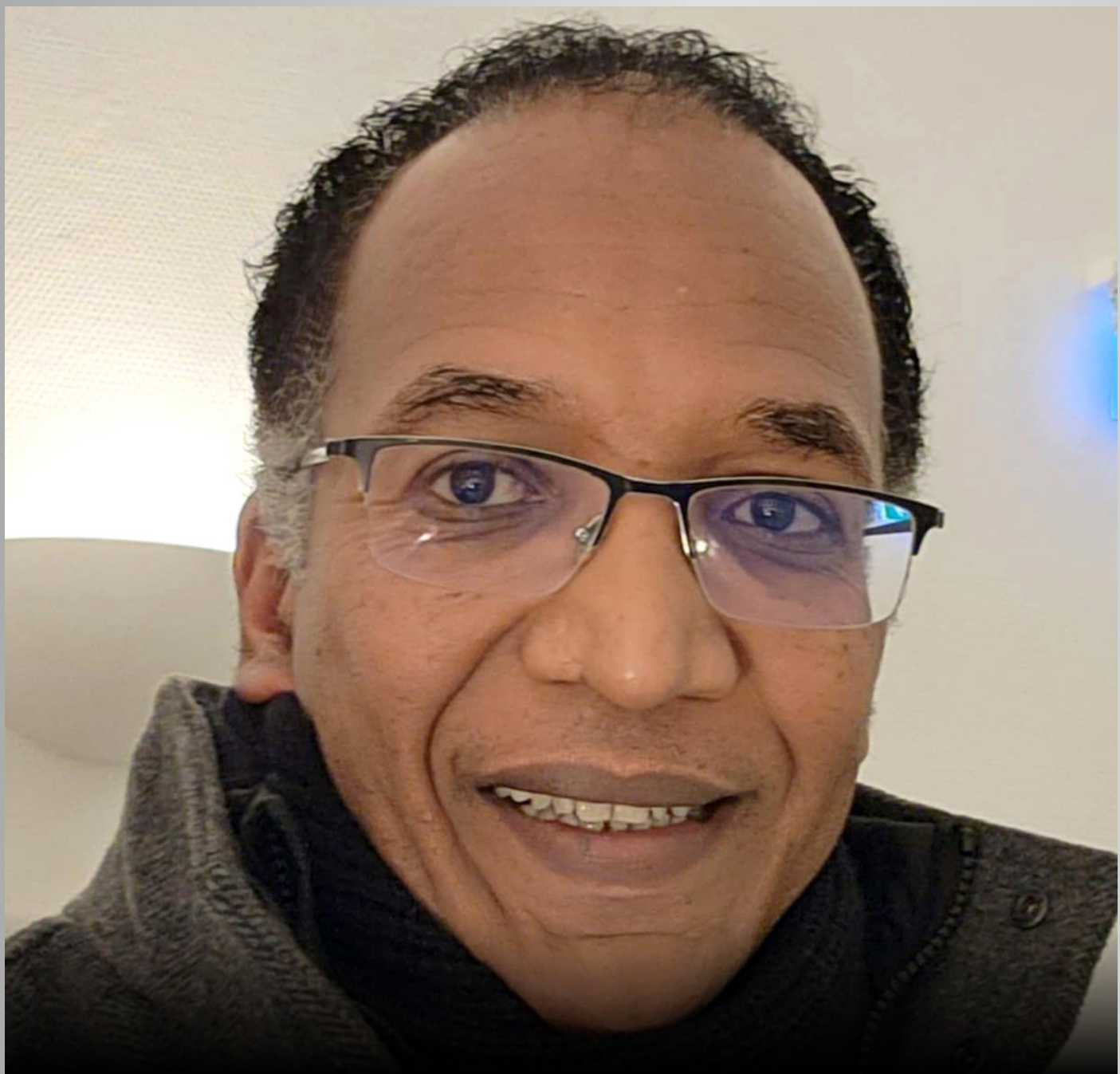

الكهرباء في السودان: بين دمار الحرب وفساد الدولة

مهندس وليد الريح:

الخرطوم تغرق في العتمة: قصة الانهيار

حاورته: وسيلة حسين

منذ اندلاع الحرب في السودان في أبريل 2023، لم تعد الكهرباء مجرد خدمة غائبة، بل صارت عنوانًا لانهيار دولة، ولجريمة اقتصادية مكتملة الأركان. فالخرطوم، قلب البلاد، غرقت في عامين من الظلام والعتمة، بعد أن سُرقت ونُهِبت ودُمّرت شبكاتها ومحطاتها ومحولاتها، وسط تواطؤ وصمت رسمي مريب.

في هذه المقابلة الخاصة مع «أفق جديد»، يتحدث المهندس وليد مبارك الريح، خبير التخطيط العمراني، وعضو لجنة إزالة التمكين في قطاع الكهرباء خلال الفترة الانتقالية، عن حجم الكارثة، جذورها، وتشابكها مع فساد الدولة، والحرب، ومصالح النخبة، مستندًا إلى تجربة تمتد لأكثر من ربع قرن في مشاريع هندسية إقليمية ودولية، بينها ألمانيا ودول الخليج.

يحمل الريح في جعبته أرقامًا صادمة، وتحليلًا دقيقًا، ومقاربة واقعية لمستقبل الكهرباء في السودان، من غير أوهام ولا دعاوى سطحية.

***دعنا نبدأ من الجذر، ما الذي يجعل أزمة الكهرباء في السودان معقدة حتى قبل اندلاع الحرب؟**

لكي نفهم واقع الكهرباء في السودان، لا بد من الإحاطة بتعقيداتها الهيكلية، فهي تتكون من ثلاث منظومات رئيسية. هي «منظومة التوليد، ويشمل المحطات المائية في مروي، والروصيرص، وسِنار. والمحطات الحرارية، في كوستي، وقرّي وغيرها.

وثانيًا منظومة النقل، ويقصد به شبكة الخطوط القومية ومركز التحكم القومي في سوبا.

وأخيرًا منظومة التوزيع، وتبدأ من محطات التحويل إلى أعمدة الكهرباء والمحولات، وصولًا إلى العدادات في المنازل والمصانع.

***هل يمكنك شرح البنية الهيكلية الأساسية لقطاع الكهرباء، ولماذا تعرضت لهذا الانهيار الكبير؟**

واقع الكهرباء في السودان، منذ ما قبل الحرب، يعاني أزمة متراكمة وجملة من الاختلالات الجوهرية، رغم محاولات التوسعة والتحديث، فالتغطية السكانية تشمل فقط 60% من السكان، يتوفرون على اتصال كهربائي، بينما ظل 40% خارج الشبكة بالكامل، والقدرة الإنتاجية لهذا القطاع الحيوي لم تتجاوز 3 غيغاواط، في حين أن الحاجة الفعلية تتخطى 5 غيغاواط في أوقات الذروة، ويرجح أن تصل إلى 10 غيغاواط لتحقيق التغطية الشاملة خلال العقد القادم. هناك أيضًا شبكة نقل غير مستقرة ومجزأة في بنية تحتية ضعيفة، أعمدة ومحولات متهالكة، ومركز تحكم يفتقر إلى التحديث بسبب الحظر التكنولوجي، مما أدى إلى تركيب برامج صينية فوق أنظمة قديمة لا تعمل بتناغم؛ لذا كانت القطوعات تصل إلى أكثر من 12 ساعة يوميًا في كثير من المناطق.

إن كل ذلك يسبقه فساد إداري مستشر ومزمن؛ فشركات الكهرباء تعمل كجزر معزولة، تغيّب عنها الشفافية والتكامل المؤسسي. بالجملة، فإن قطاع الكهرباء في السودان يعاني انهيارًا هيكليًا مريعًا.

***ما الذي تغيّر فعليًا منذ بدء الحرب في أبريل 2023؟ وكيف أثر النزاع على منظومات التوليد والنقل والتوزيع؟**

مع اندلاع الحرب في أبريل 2023، تلقى قطاع الكهرباء ضربة قاصمة وأصابه الدمار الشامل. كانت شبكات التوزيع والنقل الأكثر تضررًا، بسبب عمليات النهب، والتخريب، واستهداف البنية التحتية. صحيح أن محطات التوليد لا تزال قائمة نسبيًا، لكن من دون جدوى في غياب شبكات نقل وتوزيع حقيقية بعد انهيار التحكم المركزي، فمركز سوبا لم يعد قادرًا على إدارة أي شبكة قومية، والشبكات الآن تعمل بشكل منعزل في بعض المدن فقط، ولا توجد أرقام دقيقة. إلا أن التقديرات تشير إلى أن ما تبقى من الخدمة هو مجرد جزر معزولة تعمل في شمال السودان والوسط بنظام شبه يدوي.

***ذكرت أن ما حدث في الخرطوم لا يُعد نهبًا عشوائيًا بل جريمة اقتصادية منظمة.. كيف نفهم هذا السياق؟ ومن تقف وراءه؟**

على وقع الحرب الطاحنة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، جرت واحدة من أبشع الجرائم الاقتصادية في تاريخ البلاد الحديث: سرقة وتدمير البنية التحتية لشبكة الكهرباء في العاصمة. لم يكن الأمر مجرد نهب عشوائي في لحظة انهيار أمني، بل جريمة منظمة، متسلسلة، نُفذت بعناية فائقة على يد شبكة تمتد من الفني المتخصص في الميدان إلى المصدّر الرسمي في الميناء، ومن الجندي المسيطر على الأرض إلى المسؤول الصامت في أعلى هرم

شبكات الفساد والنهب في قلب محطات الكهرباء

الدولة.

منذ منتصف عام 2023، بدأت التقارير تتواتر حول سرقة محطات التحويل الكهربائية، المحولات الضخمة، والكوابل الأرضية الممتدة على مئات الكيلومترات. وزارة الطاقة حينها، وعلى لسان مسؤوليها، أكدت أن ما يُنفذ لا يمكن أن يكون عملاً عشوائيًا. فعملية تفريغ زيوت المحولات - وهي مواد كيميائية حساسة تستخدم للتبريد والعزل - تحتاج لفنيين ذوي خبرة، وكذلك الحال بالنسبة لفصل الكوابل النحاسية دون إتلافها.

***هل لديكم أدلة أو إشارات واضحة تربط جهات حكومية أو رسمية بعمليات التصدير غير المشروع للنحاس؟**

لم تكن السرقة عملاً فوضويًا، بل عملية دقيقة شارك فيها أشخاص على معرفة تامة بمكونات منظومة الكهرباء. ومع تفشي الظاهرة، بدأ ظهور

مشترين محليين للنحاس الخام في السوق السودانية، وهم من التجار المعروفين في قطاع الخردة. اشتروا النحاس المستخرج من المسروقات بأسعار لا تتجاوز 500 دولار للطن، بينما بيع لاحقًا في السوق العالمية - خاصة في الإمارات - بأكثر من 6000 دولار للطن. هؤلاء لم يتحركوا من فراغ، بل انخرطوا في سلسلة منظمة تبدأ بالتخزين والنقل وتصل إلى التصدير. ولأن صادرات النحاس تمر حصرًا عبر نظام رسمي، فذلك لا يتم دون سجل صادر، إذن تصدير، ونموذج EX صادر من بنك السودان المركزي.

إن ما جرى في بنية كهرباء الخرطوم لا يُمكن وصفه فقط بالسرقة، بل هو تخريب متعمد لبنية سيادية، واغتيال اقتصادي لمدنية العاصمة. تدمير هذه البنية لم يكن نتيجة حرب، بل نتيجة طمع ممنهج، وجريمة مدروسة، جرت على مراحل، وتحت سمع وبصر مؤسسات الدولة.

كما نُشر تقرير بصحيفة «العربي الجديد» بتاريخ 4 فبراير 2024، نقلت الصحيفة نص خطاب رسمي من وزيرة الصناعة المكلفة حينها، الدكتورة آمال صالح سعد، إلى رئيس الوزراء المكلف وقتها، عثمان حسين، تحذّر فيه من عمليات نهب منظمة تستهدف البنية الكهربائية وتُصدَّر عبر ميناء بورتسودان تحت غطاء قانوني باعتبارها «خردة».

أما صحيفة «اندبندنت عربية»، في تقرير بتاريخ 13 فبراير 2024، أشارت بوضوح إلى أن معظم شحنات النحاس المسروقة شُحنت إلى ميناء جبل علي في الإمارات، وبعضها مر عبر كينيا، مؤكدة أن العملية جرت بعلم وتسهيلات من جهات رسمية.

بورتسودان، التي تُعد نقطة الخروج الوحيدة للصادرات السودانية منذ اندلاع الحرب، تقع بالكامل تحت سيطرة الجيش والحكومة المؤقتة. لا يمكن مرور أطنان من النحاس الخام دون علم وزارة المالية أو دون أن يراقبها بنك السودان. وحتى

الجهات الأمنية، بما فيها جهاز المخابرات العامة، لم تُعرف عنها السهو في مثل هذه الأمور. فكيف إذًا مرّ كل هذا دون مساءلة؟ هنا تظهر ملامح الجريمة المنظمة. فالتصدير تم من خلال شركات مرخصة، فتحوا حسابات في بنوك سودانية لتغطية عائد الصادر، وهو ما لا يحدث إلا بموافقة وزارة التجارة وبتوثيق مصرفي صارم. ويقول تقرير «سودافاكس» بتاريخ 7 مارس 2024 إن شركات التصدير التي تولّت الشحن يمتلكها أفراد على صلة بأجهزة أمنية نافذة، بينما أشارت «أفريقيا برس» بتاريخ 10 مارس 2024 إلى ضلوع عناصر مسلحة كانت تنقل النحاس إلى الشرق بشاحنات ثقيلة دون اعتراض». فإذا كان الدعم السريع هو من سرق المعدات، فكيف صدّرها عبر ميناء تديره الحكومة؟ وإن كانت الحكومة تعلم، فلماذا لم تمنع؟ وإذا لم تكن تعلم، فهي شريك بالصمت، أو ضحية اختراق داخلي كارثي.

***كم تقدر حجم الخسائر المادية والبشرية في قطاع الكهرباء؟ وما المطلوب لاستعادة جزء من الخدمة؟**

وفق أرقام تقديرية أولية، يمكننا أن نقول إن أكثر من 100،000 محول في الخرطوم دمر، وحوالي 4،600 طن من النحاس تم تصديرها، دمار كامل لمنظومة التوزيع والنقل، وأجزاء من التوليد. وأرى أن مستقبل الكهرباء في السودان مرهون بالحظ والدعم الدولي، فهو في حاجة إلى مال كثير، آلاف المهندسين والعمال، وقت طويل، وصبرٌ أطول. فحسب تجارب الدول التي خرجت من حروب دُمّرت فيها البنية التحتية للكهرباء، أقدّر أن الخرطوم قد تتمكن، بكثير من التوفيق الإلهي، من استعادة 40– 50 % من قدرة الامداد الكهربي قبل الحرب خلال سنة إلى سنتين عبر تدخلات طارئة محدودة ومعالجات بامكانياتنا. 60– 80 % من قدرة الإمداد الكهربي

قبل الحرب خلال 3–5 سنوات عبر دعم أجنبي قوي.
80– 100 % من قدرة الامداد الكهربي خلال 5–8 سنوات عبر مشاركة مؤسسات دولية وإرادة حكومية واضحة وقوية.

تكلفة العودة حتى لـ«الوضع السيء السابق» والحالة المتردية التي كانت قبل الحرب تتطلب تمويل لا يقل عن 5 إلى 7 مليار دولارات، وإعادة تأهيل تستغرق ما بين 5 إلى 10 سنوات وإصلاح إداري وهيكلي عميق في شركات الكهرباء، ودعم فني ومالي من مؤسسات دولية مثل البنك الدولي والصناديق الخليجية. لكن هذا مستحيل دون وقف الحرب؛ فالمجتمع الدولي لا يمنح المال للمحرقة.

***هل ترى بدائل واقعية للكهرباء التقليدية في ظل الحديث المتكرر عن الطاقة الشمسية؟ أم أن ذلك مجرد وهم؟**

إن البديل الوحيد للكهرباء هو إصلاح قطاع الكهرباء نفسه، وفي تقديري أن الكهرباء البديلة حلم مُبالغ فيه، فقد كثر الحديث عن الطاقة الشمسية كبديل محتمل، لكن الحقائق تقول غير ذلك لأن الأنظمة الشمسية المتوفرة حاليًا لا تُغطي سوى احتياجات منزلية محدودة جدًا في الإضاءة، تدوير المراوح المنزلية، وشحن الهواتف، علاوة على تكلفتها الباهظة مقارنة بالدخل السوداني وصيانتها وقطع غيارها غير متوفرة بسهولة، وحتى الدول المتقدمة مثل ألمانيا لا تعتمد على الطاقة البديلة بأكثر من 30% من إنتاجها الكلي، والحديث عن أن السودان يمكنه «استبدال» الكهرباء التقليدية بالبديلة في ظل الحرب والتضخم وانعدام التمويل هو كلام غير علمي ولا عملي. وعليه لا بدَّ من التغطية أولًا ومن ثم الطاقات البديلة، فالسودان بحاجة إلى 10 غيغاواط من الإنتاج الكهربائي لتغطية السكان بعدالة، وشبكة نقل قومية مترابطة وحديثة تربط الشرق والغرب والجنوب بالشمال، وشبكة توزيع مستقرة تُقلل الفاقد الفني الذي يتجاوز 30%. عندها فقط يمكن إدخال الطاقة الشمسية والرياح كمصادر مساندة، في القرى المعزولة، والمدارس والمراكز الصحية، والمشاريع الزراعية الصغيرة والدوانكي وآبار المياه.

***ما الشروط الأساسية التي يجب أن تتحقق حتى نبدأ في طريق إصلاح حقيقي لهذا القطاع؟**

أرى أن المعركة الحقيقية ليست في التوليد، بل في القرار، فالطاقة ليست فقط مسألة تقنية، بل سياسية واقتصادية في جوهرها، وإعادة بناء قطاع الكهرباء في السودان يتطلب وقف الحرب فورًا، وإصلاح مؤسسي وهيكلي شجاع، وشراكة حقيقية مع العالم في التمويل والخبرة والتكنولوجيا. فالقطاع يعاني من الفساد المالي والإداري والمؤسسي وفيه سوء تخطيط غير مسبوق ولا يمكن، بل يستحيل، مجرد الحديث عن أي مشاريع إصلاحية أو ترميمية أو تطوير، إن لم يسبق ذلك إصلاح إداري جذري، بعدها لا بدَّ من الاستعانة ببيوت الخبرة العالمية لوضع خطة إصلاحية بأهداف واضحة على مراحل في إطار زمني محدد، وتشكيل هيئة مستقلة تُعنى بإصلاح القطاع وإدارة مشاريع الإصلاح تتمتع بالشفافية والاستقلالية والدعم السياسي والمادي، وبعدها لا بدَّ من وضع إصلاح وتطوير قطاع الكهرباء في رأس قائمة أولويات إعادة الإعمار لفترة ما بعد الحرب، وأول خطوة ستكون تقييم شامل لوضع القطاع فنيًا وتحديد الاحتياجات من خلال خطة إسعافية، تليها خطة إعادة الإعمار وبعدها التطوير، وريثما يكون هذا جاهزًا، لا بدَّ من مخاطبة كل المؤسسات الدولية الممولة وكل الدول الصديقة للمساهمة في صندوق إعادة إعمار وتطوير قطاع الكهرباء بالسودان.

***ما مستقبل الكهرباء في السودان؟ وهل هناك بصيص أمل؟**

نحتاج لوقف الحرب أولًا، وتشكيل حكومة ذات مصداقية للعالم حتى تكون مؤهلة لنيل الثقة المطلوبة لمنحها مبالغ طائلة تصلح هذا القطاع، ومن ثم يبدأ العمل الذي سيحتاج لكثير من الجهد والصبر وبعده سنرى نتائج على الأرض. خلاف هذا لن نصل لأي نتيجة غير تداول معلومات مغلوطة وكذب كثير لا يفيد.

الكهرباء قطاع هندسي لا ينفع فيه سوى العلم والمال الذي يُدار بنزاهة، بعيدًا عن الفساد والمحسوبية والمجاملة، وأي كلام مرتبط بهذا القطاع لا يحوي أرقامًا وتكاليف وزمنًا في إطار خطة واضحة ومدروسة خارجة عن بيت خبرة استشاري عالمي معترف به دوليًا، لن نصل إلى أي نتيجة وسنكون محلك سر، نقف على أطلال مدن ستظل مهجورة وخاوية إلى أن تصلها كهرباء (مستقرة) من جديد وماء نقيّ يشربه الناس لا يسبب لهم أمراضًا، وبعدها نستطيع المضي في إعادة إعمار المنازل والمرافق والمصانع والخدمات.

«الوادي الأخضر».. حين يتحول الاسم إلى نقيضه

ملخص

في قلب محلية شرق النيل، تحوّل «الوادي الأخضر» من اسم يوحي بالخصوبة إلى منطقة تعاني من عطش خانق، بسبب الحرب التي عطّلت مصادر المياه وأوقفت الآبار الجوفية.

تعاني المنطقة من انعدام شبه تام لمياه الشرب، ما اضطر السكان للاعتماد على تناكر المياه القادمة من مناطق بعيدة، بأسعار باهظة تصل إلى 12 ألف جنيه للبرميل، ما يزيد من العبء المعيشي وسط أزمة اقتصادية طاحنة.

أقر المسؤولون المحليون بالمشكلة، مشيرين إلى مساع لتشغيل الآبار عبر منظومات الطاقة الشمسية كحل مؤقت، لحين استئناف مشروع المياه من النيل، المتوقف بسبب الحرب.

مع غياب الحلول الجذرية، تلوح في الأفق كارثة إنسانية في منطقة بدأت تشهد عودة طوعية للسكان، لكنها تفتقر لأبسط مقومات الحياة، في ظل تجاهل رسمي ونُدرة في التدخلات الإنسانية الدولية.

وسط الخراب الكبير الذي خلّفته الحرب في السودان، لم تعد الأسماء تعني شيئًا، فـ«الوادي الأخضر» الواقع في محلية شرق النيل، لا يحمل اليوم من اسمه سوى الذكرى.

منطقة حديثة النشأة، تحولت إلى بؤرة عطش مزمن، تئن تحت وطأة الجفاف، وانعدام مصادر المياه، وتوقف الآبار الجوفية.

وبينما تمضي الحرب في عامها الثالث، تتفاقم مأساة آلاف السكان، الذين يخوضون معركة يومية من أجل جرعة ماء، في ظل غياب تام للحلول الجذرية، وارتفاع جنوني في أسعار المياه المنقولة من مسافات بعيدة.

ويصطف الناس في طوابير طويلة في انتظار تناكر المياه وعربات «الكارو»، التي تجرها الدواب للحصول على المياه التي تأتي من مناطق وقرى وبلدات بعيدة تعمل آبارها بالطاقة الشمسية.

يقول المواطن، أمين عبد الغني: إن منطقة «الوادي الأخضر» «هددها العطش طيلة أشهر الحرب، والحصول على المياه أصبح أزمة يومية لآلاف الناس».

وأوضح عبد الغني في حديثه لـ«أفق جديد»، «المياه معدومة تمامًا، والآن نحن في فصل الصيف، ولا أمل في المستقبل القريب لحل المشكلة».

من جهتها تقول نعمات عثمان: «مشكلة المياه كبيرة، ونقف طيلة ساعات النهار في انتظار تناكر المياه».

وأضافت نعمات في حديثها لـ«أفق جديد»: «المنطقة أصلًا تعاني من العطش، لكن بسبب الحرب وتعطل مصادر المياه المشكلة أصبحت كبيرة وتزداد يومًا بعد يوم».

من جهته يقول المواطن ابن عمر الطيب: «العطش مشكلة كبيرة، ونشتري برميل المياه بمبلغ 12 ألف جنيه يوميًا. والبرميل الواحد لا يكفي كل متطلبات المنزل».

وأضاف الطيب في حديثه لـ«أفق جديد»، «التناكر تجلب المياه من مناطق بعيدة، لذلك الأسعار غالية».

وتابع، «أزمة المياه اشتدت بشكل كبير بسبب توقف الآبار الجوفية التي نعتمد عليها. هذا التوقف أثر بشكل مباشر على حياة السكان اليومية، وأصبح الحصول على مياه الشرب أمرًا صعبًا».

وزاد: «ننتظر تدخل الجهات الحكومية لمعالجة مشكلة المياه، خاصة وأن العودة الطوعية أصبحت أمرًا مألوفًا في المنطقة».

وأكد أن انقطاع التيار الكهربائي المستمر تسبب في توقف المضخات التي تستخرج المياه من الآبار في جميع المناطق بمحلية شرق النيل، الأمر الذي تسبب في تعقيد المشكلة.

أما المواطنة حنان الطيب فقالت لـ«أفق جديد»: «انعدام المياه زاد من المعاناة اليومية، والآبار ما زالت معطلة لذلك نشتري المياه من التناكر رغم غلاء أسعارها».

وأضافت: «المنطقة تواجه أزمة إنسانية حقيقية. ونحتاج إلى تدخل المنظمات لحل المشكلة خاصة وأن الأسر بدأت في العودة التدريجية بعد النزوح الطويل».

وتابعت بالقول: «ظهرت حالات إصابة بالتهابات وأمراض الكلى بسبب ارتفاع نسبة الأملاح في المياه التي يوفرها أصحاب التناكر وعربات الكارو».

وطالبت حنان حكومة ولاية الخرطوم بالتدخل السريع لحل مشكلة مياه الشرب لمناطق شرق النيل بصورة عامة.

غياب الحلول :

يقول عباس محجوب، وهو رئيس لجنة الخدمات بمنطقة «الوادي الأخضر»، إن المنطقة تفتقر إلى المياه الحلوة الصالحة للشرب، وكانت تشرب سابقًا من حوض منطقة «التلال» الجامعية.

وأضاف محجوب في حديثه لـ«أفق جديد»، «منطقة التلال الجامعية تضم بئرين الأول قوة محركه مائة حصان بما يعادل 746 كيلو واط، والبئر الثانية تعمل بمحرك قوته 50 حصان».

وأوضح عباس أن عناصر قوات «الدعم السريع»، أثناء وجودها في المنطقة خلال الفترة الماضية، اقتلعت كوابل ومحولات والغطاسات الآبار الجوفية.

لافتًا إلى أن الحل يتمثل في تركيب منظمات طاقة شمسية، بتكلفة 18 ألف دولار للبئر الأولى، و18 مليار جنيه سوداني للبئر الثانية لإنهاء العطش في المنطقة بصورة نهائية.

ويقول معتز الطيب، وهو مسؤول بمحلية شرق النيل لـ«أفق جديد»: إن المحلية شرعت في إيجاد حلول سريعة لتوفير المياه لمنطقة الوادي الأخضر التي عانت طيلة الأشهر الماضية من العطش.

وأوضح الطيب أن المحلية تسعى لتشغيل الآبار الجوفية بمنظومات الطاقة الشمسية، إلى حين إكمال مشروع المياه من النيل الذي توقف بسبب اندلاع الحرب.

ومع استمرار أزمة المياه في منطقة شرق النيل، فإن غياب الحلول الدائمة لإنهاء المُعاناة اليومية يعني كارثة إنسانية طويلة المدى.

ومع تطاول أمد الحرب فإن الاحتياجات الإنسانية تتزايد يومًا بعد يوم، ونصف سكان البلاد بحاجة إلى المساعدة وهم لا يستطيعون الحصول على المأوى، أو مياه الشرب النظيفة، أو حتى الرعاية الصحية، كما أن الأمراض تنتشر بسرعة، بالإضافة إلى ندرة الموارد ومحدودية المساعدات الإنسانية الدولية.

حكومة.. الانقلاب الأولى!

وائل محجوب

ملخص

يتناول النص تحليلًا نقديًا لتعيين أول حكومة منذ انقلاب 25 أكتوبر 2021، ويرى أنها تُشكّل في ظل وضع سياسي وأمني فاقد للشرعية، ولا تستجيب للأولويات الملحّة للشعب السوداني في زمن الحرب والانهيار.

يرى الكاتب أن الحكومة الجديدة امتداد مباشر لانقلاب 25 أكتوبر، لا تستند إلى تفويض شعبي أو شرعية ديمقراطية، والهدف منها ليس إنهاء الحرب، بل محاولة كسب الاعتراف الخارجي ورفع التجميد الأفريقي عبر واجهة مدنية شكلية.

يوضح أنه تم تقليص سلطات الحكومة المدنية مسبقًا عبر تعديلات دستورية لصالح مجلس السيادة وعبد الفتاح البرهان، ورئيس الوزراء المعين يتجنب الحديث عن الحرب ويميل لخطاب ينسجم مع معسكر التصعيد العسكري.

يخلص إلى أن الحكومة الجديدة هي محاولة لإضفاء شرعية شكلية على واقع غير شرعي، دون نية حقيقية لوقف الحرب أو معالجة الكارثة الإنسانية والاقتصادية التي تعصف بالسودان.

● أثارت تعيينات الوزراء الثلاثة التي أعلن عنها عاصفة من الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي، ما بين قادح ومادح، والقضية الأساسية لم يتبينها الناس في هذه الوضعية، وهي أن هذه الحكومة القادمة، تتأسس على وضع يفتقر للشرعية، فهي امتداد لما ترتب على انقلاب 25 أكتوبر 2021م، وهي أول حكومة تُشكّل منذ ذلك الانقلاب.

● والهدف من ورائها ليس وقف الحرب المدمرة التي تشهدها البلاد، وإنما محاولة لإحداث اختراق في العلاقات الخارجية، واستعادة السودان لعضويته المجمدة في الاتحاد الأفريقي، بتشكيل سلطة مدنية تم تفكيك أي مجال يمنحها القدرة على تغيير الواقع، بعدما تم تجيير كافة السلطات لمجلس السيادة ورئيسه الفريق أول عبد الفتاح البرهان من خلال تعديلات الوثيقة الدستورية، التي تمت قبل أشهر.

● هذه الوضعية تفسر هروب رئيس الوزراء المعين من الحديث حول الحرب، وتأثيراتها المدمرة على البنيات التحتية وملايين المدنيين المتضررين من استمرارها، وتبنيه الواضح لخطاب معسكر استمرار الحرب.

● لقد قادت هذه الحرب لتخريب وتدمير واسع النطاق طال مؤسسات الدولة، وبنياتها التحتية في قطاعات الكهرباء والمياه والصناعة، وتم إفقار ملايين السودانيين عبر أكبر عملية نهب في تاريخ السودان الحديث، حيث فقد الناس ممتلكاتهم الخاصة، ومدخراتهم، وذهب نسائهم، وهذه قضية لا يتم الحديث عنها ولا عن التعويضات التي ستقدم للمواطنين، حتى يستطيعوا النهوض من جديد، بينما تطالبهم مختلف الجهات بالعودة للمدن المحررة، التي ما تزال تفتقد أساسيات الحياة، وفي ظل انفراط أمني بسبب تعدد المليشيات، وانهيار البيئة، وانهيار القطاع الصحي.

● هذه التعقيدات لن تستطيع هذه الحكومة مغالبتها دون دعم إقليمي ودولي، وهو أمل بعيد في ظل استمرار الحرب، وتعقيدات قضية الشرعية التي تحاصر الحكومة المنتظرة.

● وليست هذه هي التعقيدات الوحيدة، فحلفاء القوات المسلحة في الحرب، وعلى رأسهم الحركات الموقعة على سلام جوبا تستعصم بوزاراتها الحالية، ولا تريد لها بديلًا، مع أطماع جهات غيرها من شركاء معركة الكرامة لاقتطاع جزء من كيكة الحكم.

● والتعقيد الأكبر يتمثل في مساعي تأسيس الحكومة الموازية التي ينشط فيها معسكر الدعم السريع وحلفائه، ومساعي توسيع نطاق الحرب، في مختلف المسارات، والتهديد المستمر الذي تمثله المسيرات لاستقرار مختلف المناطق.

● كل هذه التحديات تقول إن الحكومة القادمة مقيدة الصلاحيات والسلطات، ستواجه واقعًا شديد التعقيد، وستفتقر لأهم عوامل النجاح، ولن تحل معضلة الانقلاب والشرعية، كما أنها بطبيعة الحال لن تحل مشكلة ملايين السودانيين في مناطق النزوح المختلفة، واللاجئ.

السودان المتعدد والإقصاء الإسلاموي: قراءة في سِفر التمكين

لواء شرطة (م) د. عصام عباس

ملخص

يناقش المقال جذور الأزمة السودانية الراهنة من خلال نقد جذري لمشروع الإسلام السياسي، ويُحمّله مسؤولية فشل إدارة التنوع الوطني، وتمزيق النسيج المجتمعي، وإشعال الحروب المتكررة، وآخرها حرب أبريل 2023.

ينطلق من نداء الدكتور فرانسيس دينق الذي نبّه إلى أن الحرب ليست مجرد صراع على السلطة، بل تجلٍّ لأزمة هوية وفشل في بناء دولة شاملة لجميع مكوناتها.

يشير إلى أن الإسلاميون في السودان يستندون إلى خطاب تكفيري راديكالي يستبيح إقصاء المخالف، ويختزل الوطنية في الولاء للمشروع الإسلاموي، مستندين إلى مرجعيات مثل فكر سيد قطب، ما جعلهم يرفضون التعدد والتنوع جملة وتفصيلًا.

يخلص المقال إلى أن لا مستقبل للسودان دون الاعتراف الصريح بتعدده. فالإسلام السياسي بشكله الحالي يشكّل تهديدًا لوجود الدولة نفسها، ومحاولات فرض لون واحد على مجتمع متنوع مصيرها الفشل. الطريق إلى السلام يمر عبر مدنية الدولة، والمساواة في الحقوق، والاعتراف بالآخر المختلف كشرط للبقاء.

في نداء عاجل أطلقه الدكتور فرانسيس دينق بتاريخ 23 يونيو 2025، دعا الشعب السوداني بكل فئاته إلى إدراك حجم الكارثة الناجمة عن الحرب الدائرة في البلاد، التي وصفها بأنها نتيجة عميقة لأزمة هوية وطنية وسوء إدارة التنوع الديني والعرقي والثقافي. وأكد أن هذه الحرب ليست مجرد صراع على السلطة والثروة، بل تعكس فشلاً مستمراً في تحقيق رؤية السوداناوية القائمة على الشمول والمساواة والعدل. حرك هذا النداء وحفز ضرورة تلمس مواطن الخلل ومكامن الفشل لأجل تدارك ما يمكن تداركه ومعالجة الداء ومحاصرة انتشاره حفاظًا على وطن أورثنا له الآباء متحدًا، ولكنا أغفلنا صونه وحمايته من دعاة الفتنة وحملة حطب الحريق فجاثوا خلال الديار بفكرهم الضال ونهجهم المدمر.

لا جدال أن صراع السودان المتطاول قد أتاح فرصة حقيقية لسبر غور انحراف الفكر لدي أنصار حركة الإسلام السياسي في السودان، وتحديدًا حينما أزيلت الحواجز عن طريقهم وفتحت لهم الأبواب التي كانت موصدة بدءًا من تحالفهم مع نظام النميري في 1977، مرورًا باستيلائهم على السلطة في 1989، ثم إشعالهم لحرب أبريل المشؤومة في2023. خروج الإسلاميين من مخابئهم واعتلائهم منابر السلطة لم يتسبب في تشويه صورة الإسلام فحسب، بل امتد ليكون سببًا رئيسًا في تمزيق النسيج المجتمعي وإعاقة التحول الديمقراطي. من بين العديد من الأسئلة يبرز السؤال الجوهري الذي ظلّ يُطرح بإلحاح: لماذا يرفض الإسلاميون الآخر، وينتهجون العنف وسيلة للتخلص منه؟ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب الغوص في أعماق الفكر والممارسة والسياق التاريخي لتجربة الإسلاميين في السودان.

أولاً: الفكر الإقصائي كمرجعية حاكمة

ينبع رفض الإسلاميين السودانيين للآخر من بنية فكرية قائمة على التصنيف والتجريم. لقد تأثروا بمدارس إسلاموية راديكالية، مثل فكر سيد قطب، الذي قسم العالم إلى «معسكر إيمان» و«معسكر جاهلية»، حينما نص على ذلك في كتابه «معالم في الطريق» بقوله: «إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي، وكل ما هنالك هو جاهلية». بهذا المنظور، لا يصبح الاختلاف السياسي أو الفكري اختلافًا مشروعًا في معتقداتهم، بل هو خيانة لله ورسوله، يُوجب الإقصاء، بل الاستئصال كما أفرزت حرب أبريل اللعينة. هذا التصور العدمي للتنوع يرفض التعدد كمكون طبيعي للمجتمع، ويختزل الوطنية في الولاء للمشروع الإسلاموي، ما يعني بالضرورة إقصاء كل من يخالفه، سواء كان ليبراليًا، ماركسيًا، أو حتى مسلمًا له مذهب آخر لأن كل 4ما يختلف معهم فهو جاهلية.

ثانيًا: التمكين، مسار الانغلاق والتسلط

في بداياتهم، ظهر الإسلاميون السودانيون ضمن إطار دعوي في الجامعات والمؤسسات التعليمية والمساجد، مستغلين النزعة الفطرية للشعب السوداني نحو الدين القويم، لكن سرعان ما تحوّل خطابهم بعد التحالف مع ديكتاتورية مايو إلى مشروع سياسي شمولي هدفه السلطة ووسيلته الدين وتوج ذلك بانقلابهم المشؤوم في 30 يونيو 1989 ليصبح التمكين، لا سواه، هو السبيل لبناء الدولة.

تبنّت «الإنقاذ» مشروعًا منهجيًا لتصفية الدولة من «غير الموالين»، عبر فلترة الخدمة المدنية، وإعادة هندسة المؤسسات الأمنية والقضائية والتعليمية على أسس الولاء لا الكفاءة. وهكذا، أصبح من لا ينتمي للجماعة عدوًا لها دونما منطقة وسطى.

ثالثًا: العنف أداة مشروعة للإقصاء

لم يكن العنف أداة مرحلية، بل جزءًا من الاستراتيجية الإسلاموية للبقاء في السلطة. من الحرب في الجنوب التي أُلبست لبوس الجهاد، إلى دارفور حيث جرى تسليح الميليشيات واستنفار القبائل، إلى فض اعتصام القيادة العامة عبر كتائبهم بزعم تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، كانت الممارسة واحدة: تصفية الآخر بدعوى حماية المشروع. حتى داخل صفوفهم، لم يتورعوا عن تصفية بعضهم البعض، كما حدث في المفاصلة الشهيرة بين البشير والترابي. أي محاولة اختلاف داخل الحركة كانت تُقابل بالإقصاء أو التهميش أو التخوين.

رابعًا: الشيطنة بدل الحوار

مارس الإسلاميون حملة منظمة لتشويه صورة القوى الديمقراطية والمجتمع المدني، وشيطنوا كل ما يُمثل قيم الحداثة والمساواة والحرية، فوُصف أنصار اليسار بـ«الكفار»، وناشطات حقوق المرأة بـ«المارقات»، والنشطاء الشباب في العمل الإنساني بـ«المتعاونين»، والقوى المدنية بـ«عملاء الخارج». تتم هذه الشيطنة عبر منابر الدولة الرسمية والدينية والإعلامية، في سياق يهدف إلى نزع الشرعية عن الآخر، وتبرير أي إجراء عنيف ضده.

خامسًا: ما بعد الكارثة: هل من مراجعة؟

مع اندلاع الحرب في أبريل 2023 بين الجيش والدعم السريع، ووضوح مسؤولية الإسلاميين في إشعال الصراع، بات السؤال عن إمكانية مراجعة هذا الفكر أكثر إلحاحًا. فرغم بعض المحاولات الفردية لمراجعة التجربة، فإن التيار الغالب لا يزال متمسكًا بالخطاب الإقصائي غير المعترف بالآخر، رافضًا أي نقد أو اعتراف بفشل مشروعهم المدمر. إن استمرار رفض الآخر ورفض التعدد هو ما قاد السودان إلى هاوية لا قرار لها، ويُعيد باستمرار إنتاج مآسي الانقسام والحرب.

أخيرًا: لا مستقبل بدون الاعتراف بالآخر

إنّ السودان بلد متعدد بطبيعته: في الأعراق، والثقافات، والأديان، والمناطق. ومحاولة فرض لون واحد أو فكر واحد على هذا التنوع لا تؤدي إلا إلى مزيد من الصراع. رفض الإسلاميين للآخر ليس خيارًا سياسيًا فقط، بل هو تهديد لوجود السودان نفسه. لا يمكن الخروج من هذا النفق إلا بجرأة فكرية تُراجع التجربة بصدق، وتُقر بأنّ التعدد ليس خطرًا، بل هو أساس البقاء. فالمدنية لا تعني العداء للدين، والديمقراطية لا تعني الإقصاء، وإنما هي وحدها الكفيلة بحماية الجميع.. حتى الإسلاميين أنفسهم.

من دفاتر الشتات

حين يلفظ الوطن أبناءه

ملخص

تسلط سلسلة «من دفاتر الشتات» الضوء على معاناة اللاجئين السودانيين الذين أُجبروا على مغادرة وطنهم، ليس برغبتهم، بل لأن الحرب لفظتهم من أرضهم. تفتح السلسلة جراح الشتات السوداني بلا تجميل، وتُحمّل من أشعلوا الحرب مسؤولية الخراب، رافعةً صوت الضحايا الذين سحقهم الصمت العالمي وتجاهل الساسة.

الحكاية الأولى: أحمد – حفنة تراب ومقبرة وطن، وفي حي «هايوليت» بأديس أبابا، التقينا بأحمد، كهربائي سيارات من الكلاكلة، يحمل في حقيبته حفنة تراب من وطنه.

كان أحمد ضحية لحرب لم يخترها، اعتقلته قوات الدعم السريع بلا تهمة، ثم استُغل كميكانيكي متنقّل لعرباتهم، بعد الإفراج عنه مشروطًا، بدأ جيرانه ينظرون له كجاسوس، قبل أن يُعتقل مجددًا من استخبارات الجيش، ويتعرض لتعذيب مضاعف في معتقل كرري.

يمثل «أحمد» آلاف السودانيين الذين سحقهم الوطن بدل أن يحتضنهم،قصته شهادة على خيانة الحرب، وتوثيق حقيقي لوجهها القبيح، البعيد عن البطولات الكاذبة، المبلل بدموع المنفيين وصمت العالم.

في ركنٍ قصي من هذا العالم، حيث لا تُفهم الكلمات ولا تُترجمُ النداءات، يقف اللاجئ السوداني موشومًا بدمه وحنينه، مطعونًا في كرامته، تائهًا بين حدود لا يعرفها، ومدن لا تفهم حزنه، وساحات انتظار لا تنتهي. هو لاجئ لا لأنه أراد الرحيل، بل لأن الوطن الذي كان من المفترض أن يحتضنه، انقلب عليه، لفظه كما يلفظ الجسد عضوًا لم يعد صالحًا للحياة.

هذه السلسلة ليست سردًا ناعمًا ولا محض تأريخ لتجربة مريرة. إنها شهقات مخنوقة من صدور شبان حاصرتهم الحرب، وأمهات اقتلعتهن القذائف من دفء البيوت، وأطفال تعلموا أسماء الطائرات قبل أن يتقنوا الحروف الأبجدية، نكتب عن الذين سقطوا في فجوة بين الحياة والموت، أولئك الذين أحرقت الحرب ملامحهم، لكنها لم تستطع أن تطفئ ضوء أرواحهم، نروي حكاياتهم، ونسلط الضوء على قصصهم ومعاناتهم.

ونفضح قسوة الحرب، تلك التي فُرضت على البسطاء في القرى والأحياء، ولم يعشها «البلابسة» المتخمون في فنادق العواصم، وشققها الفاخرة، الذين أشعلوا الحريق بأصابع ناعمة ثم جلسوا يتفرجون على الخراب من خلف زجاج سياراتهم الفارهة. لم يعرفوا ما معنى أن تحمل أم طفلها لأيام في معبر حدودي بلا ماء، ولا أن يموت شاب على قارعة الطريق لأنه لم يجد دواء مرض الضغط، ولا أن يضطر عجوز إلى نزع دبلة زواجه من أصبعه الذي احتوته لخمسين عامًا لا لشيء إلا ليشتري بثمنها رغيفًا من بلدٍ لا يرحب به.

هذه شهادات ضد الذين اختاروا البندقية على الوطن، والسلطة على الحياة، والمجد الزائف على الرحمة. نكتبها لا لنواسي، بل لنفضح، لنحمل من أوقدوا هذه النار نتائجها، نحملها سياطٍ من جحيم، ونجلدهم بكل قصة نزفها القلم.

هنا، في دفاتر الشتات، لن تجدوا بطولات كرتونية ولا خطبًا مدبجة.. بل وجهًا آخر للحرب: وجهها القبيح، المبلل بدموع الغرباء، المتروك في الممرات الرطبة وربطات أعناق موظفي الأمم المتحدة متبلدي الإحساس، وحراس الحدود القساة، نخرج الغضب المحشور في صدور اللاجئين كغصة لا تزول.

نكتب، ولأقلامنا غضب الناجين، وصوت المنفيين، ولسع الحقيقة التي لا تنام.

الحكاية الأولى:
أحمد.. حفنة تراب ومقبرة وطن

قصة إنسان نجا من الحرب ولم ينجُ من وطنه

أديس أبابا – أفق جديد

التقيناه مصادفة في أحد ممرات حي «هايوليت» أو 22 بلغة الأمهرة في أديس أبابا، ذلك الحي الكبير الذي لا ينام، ويزدحم بكل ما لا يلزم.. و بما تبقى من فوضى القارة. كان المطر يتساقط خفيفًا، والسماء كأنها حبلى بالحزن، المدينة على غير عادتها غارقة في الضباب والرطوبة، تحمل في صدرها ما يشبه أنينًا مكبوتًا

في ركن معتم قرب بائع أحذية مستعملة، كان يجلس متكوّرًا على نفسه، بطانية رمادية تلف جسده الواهن، لم يكن مشهدًا لافتًا وسط زحام الحي، لكن في عينيه شيء شقّ الهواء من حوله وبنا إرتضم. لم يكن يشبه اللاجئين الذين تمتلئ بهم أرصفة المنطقة، كان صامتًا، مهزومًا بطريقة أنيقة، فيه وقار الموتى، وضجة العاهرات في الشارع المقابل.

في الخمسين يبدو ، وجهه مشقق كالطين اليابس، وشعره اشتعل شيبًا مبكرًا، لكن حين سألناه عن عمره، قال إنه لم يبلغ الأربعين بعد. الحرب لا تأكل المدن فقط، بل تأكل الأعمار والملامح والأحلام - هكذا قلت لنفسي وأنا أعرف عدد السنوات التي يحملها هذا الجسد المتعب.

سألناه إن كان من السودان. لم يرد فورًا، نظر إلينا كمن ينظر إلى غربة داخل غربة، بعينين خائفتين، مرهقتين من الفرار، ثم همس، بعد أن زال حذر البدايات عنه

أنا أحمد... والشنطة دي فيها آخر حاجة طلعت بيها من السودان: «حفنة تراب».

بداية السقوط

كان كل ما يحلم به أحمد بسيطًا كما يقول: كهرباء لا تنقطع، بيت مستور، ومفتاح ومفك وورشة لتصليح سيارات في الكلاكلة، حتى يجني حصاد سمعته الطيبة وحرفته التي حذقها وصدقه الذي جذب اليه محبة الناس

«أنا زول ساي.. شغال في المفكات وبالمفكات، وقلبي نظيف».

بعد هذه العبارة اكتست ملامحه بشيء غريب، شيء ما بين الضحكة والبكاء، اعتدل في جلسته واعتدلنا نحن، وأضاف

«أنا زول ساي، لم يعرف المعتقلات، لم يتشاجر حتى في صف الرغيف، لكن في زمن الحرب لا تحتاج إلى سبب لتُعتقل.. فقط تحتاج أن تكون في المكان الخطأ، بوجه لا يطمئن له السلاح». ويتابع: «هم لا يعلمون إنني حتى صباح ذلك اليوم كانت كلمة معتقل عندما ترن في أذني من أحدهم أظنها مرتبطة بالناس السيئين

في أحد الأيام، اقتحمت دورية من الدعم السريع منزله البسيط سأله أحدهم

«إنت أبلاداي؟»

لم يفهم كما يقول. ضحك ببراءة وقال: «يا أخوانا أنا زول بسيط، كهربجي سيارات».

ضحكته لم تعجبهم. تحولت إلى صفعة. ثم اعتقال بلا ورقة، بلا تهمة، بلا شيء سوى أن الحرب كانت تبحث عن جسد آخر لتنهشه

حيث تُسحق الإنسانية

وطبقًا لروايته أُخذ إلى معتقل الرياض أولًا، غرفة خرساء مكتومة، لا يدخلها ضوء ولا يخرج منها صوت.

يقول أحمد:

«أكتر شيء بوجع في الرياض.. إنك ما عارف الزمن. بتحس إنك معلّق بين يومين ما بيجوا». ثم نُقل إلى الكتيبة الاستراتيجية، حيث لم يعد التعذيب هواية عشوائية، بل صار علمًا دقيقًا.

«الضرب هناك ما بالغضب.. بيكون منظم، كأنهم بيحسبوا عدد الجلدات، ويختبروا كم يوم بتتحمّل قبل ما تنهار».

من هناك، إلى سجن سوبا، حيث تتحول الجدران إلى جلدك، والماء إلى عقوبة، وقطعة الرغيف إلى معجزة.

«نوم على البلاط، ريحة مجاري، والمويه في الجوع زي الموت.. لكن بتشربها عشان تعيش، ولو شربتها كتير بتمرض ولو ما شربتها بتمرض».

ستة أشهر بين الجدران قضاها أحمد لا تهمة، لا قاض، لا سؤال غير

«إنتَ مع منو؟»

وهو لا يملك جوابًا إلا الصمت

دليل إدانة

في سوبا، تعطلت عربة لضباط، أحد السجانين سأل من يعرف إصلاحها، فأشير له يبدو أن معتقليه الأوائل ذكروا ذلك أو أحد زملائه النزلاء وشى به

يقول أحمد »من هنا، بقت معتقلاتي ورش»

صاروا ينقلوني معصوب العينين من معتقل لآخر، لإصلاح عربات الجلادين.

كنت بشتغل.. وبعدها برجع زنزانتي بعد فترة سمح لي بالعودة إلى منزلي في الكلاكلة، وأعيد لي هاتفي مرفق بتحذير أن لا أغادر الكلاكلة، ومتى ما طُلب مني العودة أعود، ويا ليتهم لم يفعلوا.. هكذا يقول، ومن ثم يستمر في سرد حكايته - التي ليس لنا فيه سوى القليل من التحرير.

«أربعة شهور بشتغل ليهم، وأنا ذي الكلب المربوط، يا هو دا العذاب»، ويضيف: «من تبقى من الجيران في الكلاكلة صاروا يتحاشوني لأن اسمي ارتبط بالمليشيا، حتى من دون أن أنطق بكلمة».

الهروب بشق الموت من الموت

«ممكن سيجارة» مسرعًا لبيت طلبه، لم أجرؤ أن اقطع عليه صمته ودخان السيجارة يختلط بشعر شاربه غير الحليق لكنه في آن ليس بالكث. يحدق بعيدًا كأنه يهرب من شيء ما، حكم الناس عليه دونما ترو أو تثبت، أو يسترجع في الصور التي مرت به ومر عليها. يفاجئني صوته: «فكرت كثيرًا في الهروب ولكن كيف وكل الفضاء دعامة.. كانت أيام كارثية، عرباتهم تجوب حتى أزقة الحي الضيقة، يعدون علينا أنفاسي وكأني شخص مهم.. حتى سنحت الفرصة، عندما أبلغوني صباح يوم ما أن عربة معطلة تخص شخصية مهمة – حددها بالاسم - معطلة في أم درمان ويريدون نقلي إلى حيث توجد لإصلاحها، كدت أطير فرحًا، أم درمان ربما أجد فيها مخرجًا وقد كان».

وفعلًا نقلوني إلى هناك، كان العطل طفيفًا ويمكن إصلاحه في زمن وجيز، لكني تباطأت في إصلاحه وبدأت أطلب قطع غيار لا أحتاجها ويصعب الحصول عليها في تلك الظروف، في اليوم الثاني بدأ الملل يدب في العساكر الذين كانوا معي، أخذوا يغيبون لفترات ثم يعودون فيجدوني منهمكًا في العمل، بدأت في

اليوم الثالث فترات الغياب تطول، في اليوم الرابع إلى أن غابت الشمس ما جا زول.. حسّيت إنها فرصتي»

موت موت حياة حياة ..

«هربت، زحف بين الأزقة، تحت القصف، من الموردة إلى الثورة.. كنت بجري وما بجري.. كنت بنط من ظل لظل. الرصاص فوق، وأنا تحت، الموت، الجثث حولي في كل مكان.. لا أدري كيف ومتى وصلت إلى الحارة الأولى، لم يكن من الحصافة أن أظهر لعساكر الجيش مباشرة، المنطقة من الشهداء إلى الحارة الأولى لا أستطيع أن أصفها، عقلي لم يختزن ما مررت به، من بيت لي بيت، ومن مصنع لي مصنع لقيت نفسي في الحارة الأولى خلف خطوط الجيش.»

خيانة جديدة

«وصلت إلى أحد دور الإيواء - والرواية لأحمد - مرهقًا كأني عائد من يوم القيامة، ارتميت تحت ظل شجرة نمت ولم أشعر بمن هم حولي.»

في دار الإيواء، تفحصوا هاتفه، كان فيه أرقام لضباط دعم سريع.

إذا هو هكذا صدر الحكم المتعجل.» جاسوس»

جاءت استخبارات الجيش، بلا رحمة ولا سؤال انقضوا عليه،» رفعت راسي لقيت الأسلحة مصوبة نحوي، ظننت لوهلة انني في كابوس دارت بي الدنيا حملوني وفي ضهر عربة تاتشر رموني وبدأت حفلة الضرب اللطم الركل والشتائم .. الى أن وصلت معتقل كرري، وهناك بدأ الجحيم الحقيقي

«كرري؟ ده ما كان سجن.. ده جحيم.. كنت بتمنى الموت.. ما عشان أرتاح، لكن عشان أتأكد إني خلصت من هذا الكابوس»

«كهرباء، تعليق، ضرب على الرأس، إهانات عرقية، تهديد بالاغتصاب، وجلوس لساعات في أوضاع مهينة»

«كل العذاب السابق كان أهون. في كرري، الجراح ما في الجلد فقط.. الجرح في الكرامة»

شق في جدار المستشفى

بعد أربعين يومًا في الجحيم أُرسل إلى مستشفى النو، جسده يئن من الألم، وهناك، تعرّف عليه أحد العساكر المكلفين بحراسة المستشفى من نفس قبيلته، سمع منه الحكاية، تأكد من صدق روايته عبر معارف مشتركين

والحديث هنا لأحمد

قال لي «يا زول إنت لو رجعت المعتقل بتموت.. أنا بخارجك من هنا لكن إنت لازم تطلع من البلد لأنه لو مسكوك بكتلوك وبكتلوني معاك»

تسلل أحمد من المستشفى تلك الليلة، جسده يرتجف، والمطر يغسل ما تبقى من كرامته المهدورة

الزحف إلى الحياة

مشيًا، تسللاً، هروبًا. من قرية إلى أخرى، من شجرة إلى حائط، من خوف إلى رعب. 25 يومًا أمضاها في رحلة هروبه الأخير

«كنت بقول للناس: أنا ما من دارفور.. عشان يصدقوني، مرات بتمثل الجنون.»

«كل صوت عربية كان رعب.. كل طيارة تمر، قلبي بيقف.. جعت، عطشت، حُرمت من النوم. طرقت أبوابًا أُغلقت في وجهي، ووجدت في أخرى شربة ماء، حتى وصلت القلابات، ومن هناك إلى الحدود».

والهروب الثالث

يقول: «دخلت أحد معسكرات اللاجئين قرب قندر، لكن الحياة هناك لا تُطاق، العقارب بتقرص، والثعابين بتدخل الخيام، والناس هياكل.. أنا هربت من موت لألقى موت تاني».

ويتابع سرد حكايته ويقول: «رحلة هروبي من المعسكر إلى أديس أبابا لم تكن صعبة، سمعت عن المعسكرات في أصوصا، فيها منظمات، وقليل من الطعام، وكثير من الوجع وجهتي الآن الى هناك عسى ولعل يتبدل الحال.».

ما تبقى من الوطن

قبل أن ينهض من الرصيف، سحب كيسًا صغيرًا من جوف شنطته وقال: «التراب ده من حتة قبل القلابات.. من آخر موطئ قدم في السودان.. قلت أدفن معاه، البلد ما خلّت لي شي.. لا أهل، لا أمان، لا بيت.. بس خليت ليها قلبي».. لوح مودعًا وغاب عنا في شوارع هايوليت المزدحمة.

هو نحن جميعًا

أحمد لا يريد أن يكون ضحية، ولا بطلًا، فقط يريد أن يُسمع. نجا من الحرب، لكنه لم ينجُ من ذكراها، خرج من المعتقلات، لكن المعتقل لم يخرج من روحه، والآن، يجلس في أديس أبابا، لا يملك شيئًا سوى بطانية رمادية، كيس تراب، وندبات لا تشفى، لا أدري إن كان يستطيع الوصول إلى أصوصا مقصد هروبه الثالث، أم أن الأمن الإثيوبي سيعتقله ويسجن بتهمة تجاوز الحدود بطريقة غير شرعية.

أحمد هو أنت، أنا، نحن

فهل من يسمع صوته وسط ضجيج العالم؟ وهل من يرى أن حفنة التراب في حقيبته، هي كل ما تبقى من له من وطن أحبه وأراد أن يعيش فيه؟

رسائل للأحباب:
رسالة للسيدة سناء إبراهيم

عثمان يوسف خليل

ملخص

مضامين الرسالتين المتبادلتين بين الكاتب عثمان يوسف خليل والسيدة سناء إبراهيم، تأتي في إطار من التحليل الهادئ الذي يُبرز ما تم تناوله من موضوعات وتفاصيل، ويضيء الجوانب الجمالية والوجدانية والفكرية في الصين.

كل من الرسالتين تمثل نموذجًا لكتابة الحنين، لكنها لا تكتفي بإظهار الشجن، بل تستخدمه كعدسة لتمرير رؤى نقدية وحياتية، هما رسالتان شخصيتان، لكنهما تنفتحان على همٍّ جمعي: الثقافة السودانية، قيمها، رموزها، والتحولات التي مرت بها.

ما كتب هنا ليس فقط عن سعد الدين، بل عن ثقافة سودانية كاملة قاومت عبر الأدب والغناء والفكر، عن وطن كان يربّي أبناءه في الأندية والمسارح، وكان الشعر فيه مادة حياة لا زخرفة.

سناء وعثمان لم يرثياه، بل أعادا تقديمه كجزء من نسيج الوطن، رجل عاش بشعره، ومات كأنه لم يمت... لأن الكلمة الحية لا تُدفن.

يا سناء بعد التحية والسلام التام لشخصك

كم تمنيت لو كان لنا رواكيب أو حتى أرض أو عُوَض كما ينطقها أهلي في الجزيرة لسعدنا بأن نطلب منك أن تسوي لينا شاى وبي لبن كمان، باقي نحن هناك مغرمين بشاي اللبن الكارب داك، وعند المغارب أو وقت الطيحة في رواياتهم آخر من رواياتهم وكمان ما تنسي السكر الزيادة..

يا عزيزتي سناء شدني أن أكتب إليك هذه الرسالة، واستفزني (هنا بالمعنى الإيجابي) ذلك النص الجميل الذي صورتي فيه زيارتك لذلك الصرح العظيم - معهد الموسيقى والمسرح - الذي تشرفت بأني قد انتميت إليه لفترة قصيرة جدًا كطالب في قسم الدراسات الإضافية، ولكن القلق الذي امتلكنا لأسباب أهمها الهوس الفلسفي ونحن على عتاب التخرج منعني من نعم المواصلة.

ما علينا سيدتي، فقد عوضنا بديلاً عنه حوش المجلس القومي للآداب والفنون الذي كان قبلة ومنارة لكل أهل الفنون والآداب والثقافة، وأحسب أن فترة عملي في المجلس كانت من أنضر وأبهى فترات حياتي، حيث أتيحت لي ولحسن الحظ فرصة التقرب إلى ذاك الرهط الطيب من المبدعين السودانيين ممن كانوا يمثلون كل المجالات الأدبية والثقافية، ولم يكن المجلس وحده بالطبع القيم على أمر الثقافة السودانية، فقد كانت هناك أجسام ثقافية أخرى أنشئت لذات الغرض منها مصلحة الثقافة ومعهد الموسيقى والمسرح، وقبلهما دار الإذاعة وبعدها التلفزيون إضافة إلى الجمعيات الأهلية والخاصة، ومن أهمها في نظري دار الثقافة.

أما جهازا الإذاعة والتلفزيون فقد مثلا دور الخزانة التي أدت دورها في حفظت تراث هذا البلد الغني والزاخر بكل ما هو جميل وممتع.

الكلام الفوق كله جاء خاطرة بسبب أن حظي العاثر لم يسعفني أن أتعرف على ذلك الشاعر الذي كانت كلماته تتسلل إلى الروح بعفويتها المتناغمة.. ومن يكون ذلك غير سعد الدين إبراهيم الذي تسلل هو من هذه الدنيا في هدوء مثلما عاش فيها بذات الهدوء.. لقد تعلمنا كلمات الحب الأول حينما كنّا نغازل الحسان في أيامنا بروائع كلمات أغنيات سعد الدين، واللاتي على قلتهن إلا أنهن كن درًرا غوالي، فمن منا لم من لم يردد مع عركي:

ساوا ليكم بادينا شاي
وحالبالكم ضراع الليل

وده عشان تفرحو كلكم.. وانتشينا وتمايلنا وطربنا مع عركي ونحن ننساق زي الشُعَاع بين رواكيب سعد الدين وأوض عركي علشان نتاوق معاه لتلك الحبيبة الفرضية، التي سوت لينا بايدينا شاي وايه كمان من لبن ضرعات الليل زياده كمان.. يا سلام يا سعد الدين كيف لك هذا الخيال الباذخ؟

كان أخوك أبو السعود، أحد رواد تلك المدرسة الواقعية الجديدة في الشعر الغنائي، التي أحسب أنها بدأت بخليل فرح في قدلاته عند شارع الترماي بحي أبروف، ولقد استفاد بالتالي سعد الدين من ذاك الإرث الخليلي ومفرداته الجديدة والمتميزة.. (حافي حالق).. الذي في تقديري (خليل فرح) إنه هو من وضع حجر الأساس للمدرسة الواقعية الجديدة التي تأثرت بها الأجيال اللاحقة.. وليس ذلك بغريب على سعد الدين ذلك الشاعر المتمرد المعروف بذكائه مما أتاح له أن يخلق لنفسه مفردات أفادته في كتاباته النثرية في عموده الراتب (النشوف آخرتا).

لم يذكر أحد أن سعد الدين قدم عمل درامي حتى أنا الفقير لله المتابع لك ولإبداعك لم أكن حقيقة أعلم أن لك باب عريض وعريق (ومن السنط كمان) إلى أن سمعت صريره من الأمين العام للمجلس الأستاذ جمال محمد أحمد عليه رحمة الله في زيارة لي معه للمسرح للاحتفال بيوم المسرح العالمي، وعم جمال لا يجامل أبدًا مهما كانت مكانتك عنده، انتبه استاذنا جمال لتمثيلية باب السنط كعمل درامي إذاعي وكتب عنها في صحف تلك الأيام وأشاد به كعمل متميز وتنبأ لكاتبه (الشاب وقتها سعد الدين إبراهيم) بمستقبل ناجح، وقد صدق أستاذنا جمال فقد أصبح ذاك الشاب الطموح أحد من يشار إليهم بالبنان في حيواتنا الثقافية.

وشوفنا آخرتا يا سعد الدين، وآخرتا كوم تراب لذاك الجسد الذي لم يتحمل صاحبه المهووس بالإبداع، ولكن ستبقى حكاوي الحبيبة وتلك الأخرى الما بتسأل عن ظروفك، ونسأل نحن رب الرحمة أن يرحمك وهو من كتب على نفسه الرحمة.

عثمان يوسف خليل
المملكة المتحدة

سناء إبراهيم
سيدي الكاتب الجميل عثمان يوسف خليل،

قرأت كلماتك عن أخي سعد الدين إبراهيم، رحمه الله، كمن يُمسك بمنديل من الوجد ويجفف به دمعة في وجدان الوطن. كلماتك لم تكن رثاءً بقدر ما كانت مرآة صافية تعكس كيف تسلل هذا الرجل إلى الناس، وسكن قلوبهم، ثم رحل على أطراف الحنين.

لقد عرفتُ سعد الدين في بيته كما عرفه الناس في كلماته؛ هادئًا، عميقًا، مستغرقًا في التأمل، غارقًا في اللغة كمن يغوص في نهر من المعنى. عرفتُه أخًا،

وصديقًا لمن جعلوا من الكلمة حياة. كيف لي أن أنسى حديثه الممتد عن الدوش، عن محجوب شريف، عن التجاني سعيد، عن محمد نجيب محمد علي ومحمد الحويح، عن دكتور من الله وأستاذ وراق، وعن الرفقة التي لم تكن مجرد أدب، بل كانت مشروعًا إنسانيًا، متّقدًا وواعِدًا.

كانت أيام «نادي المسطبة» و«نادي الحديقة» تضجّ بنقاشات ومجادلات، ضحك وقراءات، وكلها تذوب في وجدان سعد الدين، وتخرج لاحقًا في قصيدة، في زاوية، أو في صمتٍ لا يُترجم إلا بالحبر.

كان بيتنا يعج بالكتب وبالضيوف وبالشجن النبيل، وكنتُ أراه يسهر يكتب، أو يصغي، أو يبتسم دون أن يُفسر لماذا. كانت كلماته خفيفة على الورق، لكنها ثقيلة بالمعنى، وكانت عزلته لا تشبه الوحدة، بل تشبه النضج حين يختار أن لا يصرخ في ضجيج العالم.

«النشوف آخرتا» لم تكن عمودًا فقط، بل كانت تنهدة تُقال نيابةً عنّا جميعًا، في مواجهة العبث، السخرية، والمفارقة التي نعانيها كل يوم. أما «باب السنط»، فقد كان سرّه الصغير الذي قلّما يتحدث عنه، لكنه يبتسم حين يُذكر، كمن يتذكّر أول حبٍّ خبّأه في دفتر قديم.

سيدي،

لقد رحل سعد الدين كما عاش: بسيطًا، شفيفًا، هادئًا، لكنه ترك وراءه أثرًا لا يُمحى. أما نحن، أسرته الصغيرة، وأسرته الكبيرة الممتدة في الناس، فسنظل نقرأه، نردّد أغنياته، ونشتاق إليه في لحظات الصدق، لأن الصادقين لا يُعوّضون.

شكرًا لك على كلماتك التي نكأت في القلب وجعًا جميلاً، وجعلتني أعود إلى تلك الذكريات التي أحبها، وأحنُّ إليها، التي أصبحت جزءًا منّي.

سناء إبراهيم
أخت الشاعر سعد الدين إبراهيم
28 يونيو 2025

الحرب على إيران تُعيد تعريف السودان في ظل القتال داخل أروقة المجتمع الدولي

حاتم أيوب أبو الحسن

ملخص

يحلل المقال التحولات الجيوسياسية التي أعادت وضع السودان في قلب الصراعات الدولية، خصوصًا في ظل تصاعد المواجهة بين إسرائيل وإيران، حيث لم يعد الصراع السوداني مجرد اقتتال داخلي بين قوتين محليتين، بل بات يُنظر إليه دوليًا كساحة محتملة لنمو التطرف وتحالفات متشددة عابرة للحدود.

يرى الكاتب أن السودان تحوّل إلى نقطة ارتكاز جديدة للقوى المتطرفة بعد تراجع نفوذها في مناطق مثل لبنان وغزة واليمن، مما يثير قلقًا متزايدًا لدى إسرائيل، التي تخشى من ظهور «غزة جديدة» في البحر الأحمر.

يوضح أن مستقبل وحدة واستقرار السودان أصبح مرهونًا بتطورات الصراع الإقليمي، خاصة بين إسرائيل وإيران، وإمكان إدماج السودان في «العالم الجديد» كدولة مستقرة تساهم في الأمن الإقليمي.

يخلص المقال إلى أن الخيار أمام الإسلاميين في السودان واضح: إما التنازل وبدء مسار تأسيس دولة جديدة، أو المضي في الصراع الذي قد يقصي السودان عن خريطة الاستقرار الدولي.

تشهد الأروقة الدولية اليوم إعادة تعريف حقيقية لموقع السودان في خريطة الصراع العالمي، فالوضع القائم فيه لم يعد مجرد قتال بين قوتين محليتين، ولا مجرد أزمة إنسانية أو سلسلة انتهاكات واسعة، بل تحوّل إلى نقطة ارتكاز جديدة لنمو قوى متطرفة عالمية، اختارت السودان كبيئة ملائمة لإعادة تشكيل ذاتها بعد أن تكسّرت أنيابها في لبنان، وقطاع غزة، واليمن، وها هي المواجهة تنتقل إلى إيران.

وسط هذه التحولات، لم يكن السودان بمعزل، بل أصبح اليوم مركز اهتمام كبير لإسرائيل وحلفائها. فبعد 77 عامًا من قيام الدولة العبرية، لا ترغب تل أبيب في تكرار أخطاء الماضي بالسماح بظهور «عدو استراتيجي» جديد في البحر الأحمر، بما يهدد حدودها ومستقبلها، على غرار ما تراه في تحوّل السودان إلى «غزة جديدة» داخل إفريقيا.

ما يُرصد اليوم من أنشطة لكتائب جهادية تقاتل لصالح حكومة بورتسودان، وظهور رموز متشددة تمجّد العنف وتدعو لـ«الجهاد»، يجعل من السودان مسرحًا مفتوحًا لتغذية التطرف وتسميم وعي الأجيال الجديدة، وهو ما تعتبره إسرائيل تهديدًا استراتيجيًا لأمنها.

ويزداد القلق مع الحديث عن عودة طرق التهريب القديمة الممتدة على طول الساحل، التي تم استهدافها سابقًا في «عملية كلاود» بسبب نقلها أسلحة إيرانية إلى غزة. هذه العودة تُعد تهديدًا وجوديًا – لا سياسيًا فقط – في نظر إسرائيل، وتحوّل البحر الأحمر من مجرد ممر جيوسياسي إلى ساحة معركة وجودية.

أما في الداخل السوداني، فقد أنهك القتال المتواصل منذ أكثر من ثلاث سنوات السودانيين، الذين يتطلعون بوضوح إلى السلام والعودة إلى طاولة التفاوض وتأسيس دولة موحدة، بينما يصرّ البعض على انتزاع السلطة عبر العنف.

في هذا المشهد المعقد، تضع الحرب على إيران والتحولات الإقليمية السودان من جديد في قلب الحدث. يتسع الصراع داخليًا ليأخذ طابعًا متعدد الأطراف، وتزداد المأساة الإنسانية، فيما يشتد الحظر الدولي.

التمسك «الإخواني» بالسودان لم يعد تكتيكًا مؤقتًا، بل خيارًا استراتيجيًا تُبنى عليه التحالفات المتشددة، ويشكل تهديدًا يتجاوز السودان ليصل الإقليم والعالم. كما أن السيطرة على البحر الأحمر تُستخدم كورقة تفاوض إقليمية، تتقاطع فيها مصالح الإسلاميين المتشددين مع قوى إقليمية فاعلة، ليس فقط إيران.

إن الرابط الأيديولوجي الذي يُلهب السودان اليوم يعيد رسم ملامح المنطقة كلها، ويقود الصراع نحو منحنى لا يمكن التنبؤ بعواقبه، مما يعقّد فرص تحقيق حلم السودانيين في السلام والحرية والعدالة.

فالإسلاميون، بتعدد أطيافهم، يرون أن العودة إلى الحكم لا تتحقق إلا بتحالفاتهم، ومن خلال السيطرة على الممرات الحيوية. وهو ما يثير القلق، ليس لإسرائيل فقط، بل للعالم كله.

من هنا، لم يعد القتال في السودان محصورًا بين أطراف محلية، بل أصبح جزءًا من صراع دولي مفتوح، لا يمكن تقدير نتائجه الآن. إما أن يتنازل الإسلاميون وتبدأ عملية تأسيس سودان جديد، أو أن تتعمق المواجهة، ويتم إقصاء مناطق بأكملها من المشهد، لصالح قوى تسعى لشرعية جديدة.

أما استقرار ووحدة السودان، فقد أصبحا معلقَين على ما ستؤول إليه صيف المنطقة الساخن بين إسرائيل وإيران، وما إذا كان السودان سيُعاد تعريفه كدولة تنتمي إلى العالم الجديد، لا تخشاه، بل تسهم في حفظ أمنه وسلامه.

نعود

مرضى الحرب النفسيون يئنون في صمت

الدكتور يس بكري:

تزايد حالات الإصابة بالأمراض النفسية وسط كبار السن والأطفال

نهر النيل – لبنى عبد الله

منذ اندلاع الحرب في السودان في منتصف أبريل 2023، لا تزال آثارها تتسلل إلى تفاصيل الحياة اليومية، وتتعمق في الجسد والنفس معًا. فبينما تنشغل التقارير بحصر الخسائر المادية وأعداد القتلى والنازحين، هناك جانب خفي ينخر في المجتمع، بعيدًا عن عدسات الكاميرا ودوائر القرار: المرضى النفسيون الذين أهلكتهم الصدمة ويصارعون الألم في صمت ثقيل.

في مدينة عطبرة، التي باتت إحدى محطات النزوح واللجوء الداخلي، تتزايد أعداد المصابين بالأمراض النفسية والعقلية، خاصة وسط الأطفال والنساء وكبار السن.

وتواجه المراكز الطبية هناك ضغطًا هائلًا، في ظل شُحّ الموارد، وانهيار النظام الصحي في العاصمة والمدن الكبرى.

«أفق جديد» التقت بالدكتور يس بكري صالح، اختصاصي طب وصحة الأسرة، وزميل علاج الإدمان من جامعة الملايا الماليزية، الذي يعمل في الخطوط الأمامية لتقديم الرعاية للمرضى المتأثرين بالحرب.

في هذا الحوار نسلّط الضوء على الواقع الصحي والنفسي للنازحين، وانتشار الأمراض، والتحديات اليومية التي تواجه العاملين في القطاع الصحي، في محاولة لفهم ما يحدث خلف جدران الصمت والمقاومة.

على مكتب خشبي متواضع في غرفة صغيرة، يجلس د. يس بكري صالح، اختصاصي طبي وصحة الأسرة، وهو يستمع إلى المرضى خاصة (الأمراض النفسية) الذين فتكت بهم الحرب، ويجتهد في كتابة وصفات علاجية بالقليل من الأدوية المتوفرة.

بسبب حرب السودان المدمرة فإن العائدين دائمًا ما يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة؛ إذ كشف د. يس عن تزايد حالات الإصابة بالأمراض النفسية وسط كبار السن والأطفال، وتردد ما بين (3-4) حالات يوميًا؛ إضافة إلى أمراض السل الرئوي بأعداد كبيرة خاصة الوافدين من مناطق الحرب.

ما هي أكثر الحالات المرضية ترددًا على المستشفى؟

أكثر الحالات المرضية ترددًا بعد الحرب في مراكز العلاج بمدينة عطبرة وبأعداد كبيرة هي الأمراض النفسية بكل أنواعها، بالإضافة إلى الأمراض الأخرى، وكافة الأمراض الباطنية، والنساء والتوليد، ولكن التي تفوقها في نسبة التردد بصورة أكبر هي الأمراض النفسية وما يعرف باضطراب ما بعد الصدمة، خاصة وسط الوافدين من مناطق الحرب، وهناك حالات تردد للمرضى المصابين بالاكتئاب النفسي وسط الأطفال القادمين من مناطق الحرب، وتلاحظ تزايدها بنسب كبيرة جدًا، وأيضًا اكتئاب ما بعد الولادة وسط الأمهات.

كما يعاني الأطفال الذين عاصروا الحرب من الصدمات النفسية، وهناك زيادة عالية وسط المترددين بهذا النوع من الأمراض النفسية، وهناك أيضًا إصابات وسط الأطفال وهي ما يعرف باضطراب ما بعد الصدمة، وكل الوافدين إلى مدينة عطبرة من مناطق الحرب خاصة الذين عاصروا أحداث الاشتباكات ومكثوا لمدة اطول وتأخروا في الانتقال إلى الولايات الآمنة، فهم يشكلون النسبة الأكبر للتردد .

هل لديكم أرقام تقريبية بالنسبة لتردد المرضى من أجل تلقي العلاج اللازم؟

أعداد التردد في اليوم تصل ما بين حالتين إلى ثلاث حالات وقابلة للزيادة، وفي نهاية الأسبوع قد تصل إلى 3-4 حالات، ونعاني بسبب الضغط العالي جدًا على العيادات المحولة، بخلاف المرضى الذين تمت معاينتهم مسبقًا، وتتم متابعة حالاتهم خاصة الذين عادوا إلى الخرطوم، وذلك بالتواصل معهم ونلاحظ الاستجابات الإيجابية للعلاج.

وأيضًا هناك أعداد مقدرة للأطفال الذين يعانون من الاضطرابات النفسية والعقلية، ويشكلون نسبة مقدرة.

كما توجد حالات التردد بأمراض الحمى النزفية وحمى الضنك التي تأتي أغلب الإصابات بها للعلاج من ولاية الخرطوم في محلياتها المختلفة ومن ولاية الجزيرة، وهذه الأمراض دخيلة على ولاية نهر النيل ولم تكن موجودة بها؛ ويعد ناقل حمى الضنك أو ما يعرف بالزاعجة المصرية، التي تعيش في المناطق الرطبة انحصر توالدها في السابق في ولايات الشرق مثل كسلا وحلفا ومصر، وبعد الحرب تكّيف هذا الناقل بصورة أو بأخرى في ولاية الخرطوم.

ما هي الأمراض الأكثر شيوعًا وترددًا على المستشفى والمراكز العلاجية؟

من الأمراض الأكثر شيوعًا وترددًا بالإضافة لكل ما ذكر أعلاه مرض السل الرئوي، ويمكننا أن نقول إن أعداد التردد مهولة جدًا بعد الحرب، ويعود السبب إلى انقطاع المصابين القادمين من مناطق الحرب عن

العلاج مما تسبب في انتكاستهم، عقب قدومهم إلى ولاية نهر النيل ساهموا في نقل العدوى مما ساعد على زيادة نسبة المصابين بصورة كبيرة، بالإضافة إلى الظروف المعيشية القاسية التي يعيشونها وارتفاع نسبة الفقر والجوع.

هل رسوم الدخول إلى الطبيب أو المراكز العلاجية مرتفعة أم رمزية؟

رسوم الدخول إلى العيادة رمزية، بالإضافة إلى استقبال حالات دون مقابل، وارتبط العلاج بمعرفة إنسان عطبرة بالقرى وخلق علاقات صداقة مع المرضى عبر دراسة الحالة الاجتماعية، هذا بالنسبة للوضع قبل الحرب، نقوم حاليًا بتقديم الخدمة مجانًا، ونعلم تدني الأوضاع الاقتصادية وارتفاع نسبة الفقر، وبعد الحرب يتم استقبال جرحى العمليات والمصابين في المركز التشخيصي مجانًا. كما نستقبل الوافدين من مناطق الحرب أيضًا مجانًا، ولدينا تفاهمات مع مركز صحي (أم بكول) في عطبرة لعلاج كافة الوافدين من مناطق الحرب مجانًا بما فيها الفحوصات والموجات الصوتية.

ما هي توصيتكم للمرضى، خاصة المرضى الذين يعانون اضطرابات نفسية بسبب الحرب؟

عبر مجلة «أفق جديد» نقدم دعوة لكل المتأثرين بالحرب وغير المتأثرين بولاية نهر النيل من الذين لا يملكون ثمن العلاج لتقديم خدمة طبية مجانية من خلال الاتصال عبر الرقم (012466177) أو الرقم (0915691158)، وتواصلنا مع إدارة مركز صحي (أم بكول) ليتم عبره تحويل حالات لتقديم الخدمة مجانًا، وقد تم تحويل العديد من الحالات أغلبها تكون من الحوامل.

كيف توفرون الثقة مع المرضى، خاصة المتأثرين بالصدمات النفسية بسبب الحرب؟

تخصص طب الأسرة لا يجعلنا نتعامل مع المريض كفرد بل كأسرة كاملة، نقوم بالعمل على متابعته وتقديم العلاج النفسي وخلق علاقة صداقة معه مما يوفر ثقة بين الطبيب والمريض، كمثال الإصابة بالجلطة لا نقوم بعلاج الجلطة فقط أيضًا نعالج اكتئاب ما بعد الجلطة.

ما هي أبرز المشاكل التي تواجهكم في مستشفى عطبرة؟

هناك الكثير من التحديات التي تواجهنا أبرزها الضغط العالي على مستشفى عطبرة التعليمي، ومستشفيات ولاية نهر النيل التي تستقبل كل الحالات بالبلاد كبديل للمستشفيات بالعاصمة الخرطوم والولايات الأخرى، التي توقفت بسبب الحرب. وهناك حاجة لتفعيل خدمات الرعاية الصحية الأولية، وتأهيل المراكز الصحية التي تعاني الكثير من التحديات بسبب ضعف التأهيل، واللجان الشعبية بالقرى التي تتدخل في العمل الفني للأطباء مما أسهم في تنفير البعض من العمل بالقرى. ومن هنا نطالب الجهات المسؤولة الاهتمام بتأهيل المراكز الصحية حتى تخفف الضغط على المستشفى الكبير، مع ملاحظة أن هناك أمراض لا يحتاج فيها المريض الذهاب إلى المستشفى، ويمكن علاجها بالمراكز الصحية، وفي حال كانت مؤهلة يمكن أن تخفف الضغط على المستشفى.

التحول الرقمي واللغة العربية.. من (كمبيوتر صخر) وحتى مؤسسات هيومين وG42

عمار قاسم حمودة*

ملخص

يستعرض المقال رحلة تطور حضور اللغة العربية في عالم التقنية، بدءًا من جهود محمد الشارخ في إدخال العربية إلى واجهات الحاسوب عبر كمبيوتر صخر في ثمانينيات القرن الماضي، وحتى مشاريع الذكاء الاصطناعي المعاصرة مثل G42 (الإمارات) وهيومين (السعودية).

يشبّه الكاتب دخول الذكاء الاصطناعي اليوم بدخول الكمبيوتر سابقًا، ويشير إلى أن من يتقن أدوات الذكاء الاصطناعي سيحظى بتفوق مهني وتعليمي، كما يلفت إلى ضرورة إدراجه في التعليم المبكر، ويؤكد أن الذكاء الاصطناعي لا يستبدل البشر، بل يمكّن من يعرف كيف يتعامل معه.

يرى أن مشاريع الخليج الحالية تمثل خطوة جبارة في هذا الاتجاه، خاصة مع دور المؤسسات السيادية في بناء البنية التحتية الرقمية، مقابل ريادة القطاع الخاص في مراحل سابقة.

يخلص إلى أن ربط اللغة العربية بالتحول الرقمي والذكاء الاصطناعي هو السبيل لضمان بقاءها مؤثرة في سباق اللغات العالمي، محذرًا من ضمور أي لغة لا تواكب التطور التقني.

إذا كنت تقرأ هذا المقال المبسط عن الذكاء الاصطناعي باللغة العربية على أي جهاز إلكتروني، فأعلم أن فضلًا كبيرًا عليك أجراه الله على يد الرجل الصالح عليه الرحمة محمد الشارخ، رجل الأعمال الكويتي، الذي رحل عن دنيانا العام الماضي. إنه الشخص الأساسي خلف إنتاج (كمبيوتر صخر). هل تذكرون (كمبيوتر صخر)؟ هذا شيء يعرفه الجيل الذي جاء للحياة قبل العام 1985 في الغالب، بلغة الأجيال فهم في طيف نهاية جيل X وبداية جيل Y. لهذا الرجل فضل كبير على كل الجيل الناطق بالعربية في ذاك الزمان. فعلى يديه دخلت اللغة العربية إلى عالم التقانة الجديدة وثورة الحواسيب، فمكنت المتحدثين بالعربية من مواكبة صعود الإلكترونيات والتعامل مع الحواسيب بواجهات عربية اللغة، مما جعل الحواسيب أليفة ومفهومة لمن يقرأ العربية، ومهدت إلى دخول الحواسيب إلى البيوت دون الحاجة إلى عميق معرفة باللغات الغربية. ما كان وتم وقتها كان شيئًا ثوريًا جدًا وعظيم الأثر. ولك أن تلاحظ هنا أن القطاع الخاص قد تقدم على القطاع العام ربما لكون الموضوع وقتها غير واضح الفوائد بالنسبة للصناديق السيادية أو الخزائن العامة لدول الخليج في ذلك الزمن، الشيء الذي سنجده تبدل عند الحديث عن البنية التحتية اللازمة لتوطين الذكاء الاصطناعي في المنطقة الذي تولته الجهات السيادية. حقيقة أن الكويت نجحت عبر شراكات مع جهات غربية ويابانية في ذلك الزمان من صناعة كمبيوتر نستطيع أن نقول إنه عربي، جعلتني أتأمل مقولة كان يتم تداولها بداية الألفية الثالثة، سمعتها لأول مرة بالكويت نفسها في نهاية العام 2012، ونحن في سوق (الوَطِيَّة) بالكويت، فحينما علقت أن واجهة السوق يشبه السوق الإفرنجي في الخرطوم، قال محدثي أن ذلك يعكس تقدم الكويت خليجيًا وعربيًا في الماضي، وأردف المقولة باللغة الإنجليزية: (كانت الكويت، والآن الإمارات، وغدًا الدوحة). الآن طبعًا تغير التموضع الجديد في الخليج، وذلك لدخول رؤية السعودية 2030 وما تبعها من تحولات كبرى في المنطقة حملت الإقليم كله إلى مصاف جديدة في التأثير العالمي، وكذلك دخول الإمارات في برامج طموحة في جانب التحول الرقمي، بل وريادة المنطقة. هذا حتمًا له ارتباط عظيم بما نحن فيه من استشراف دخول عوالم الذكاء الاصطناعي وتوطينه في الشرق الأوسط.

الذكاء الاصطناعي ودخوله إلى عالم اليوم يشبه في المبدأ قصة دخول الكمبيوتر إلى عالم الأمس. فعند الكثيرين، كان الحاسوب أو الكمبيوتر شيئًا يسمعون به ولا يعرفون له صرفًا أو نفعًا، أو حتى تخمينًا، لكنهم كانوا يدركون أنه شيء سيكون له دور كبير في حياتهم. ثم ما لبثوا أن رأوه يجتاح حياتهم، في مكاتب الشركات وفي دواوين الحكومة، ومن ثم في بيوتهم. الآن نفس الشي ينطبق على عالم الذكاء الاصطناعي. فإذا كان خوف الناس من أن يأخذ الكمبيوتر وظائفهم كان وهمًا، فالحقيقة هي أن وظائفهم أخذها أشخاص يتقنون التعامل مع الكمبيوتر وينجزون عبره. الآن نفس الوهم، ونفس الحقيقة تنطبق على موضوع الذكاء الاصطناعي. فحتمًا سيتفوق الموظف الذي يجيد التعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي على من لا يعرف. وينطبق ذلك على عالم الأعمال والشركات والمؤسسات التعليمية وكل نواحي الحياة.

قريبًا جدًا - وربما الآن تم - سنجد أن تعلم التعامل مع الجديد من الذكاء الاصطناعي سيكون في صلب مواد الدراسة الأولية للتلاميذ، أقول التلاميذ وليس الطلاب. الشيء الجيد هو أن البداية الآن متاحة للجميع قبل أن يتعقد ويتفرع ويتشعب أمر الذكاء الاصطناعي. بعبارة أخرى فإن الإقبال على معرفة الذكاء الاصطناعي الآن يتيح رحلة مريحة ومتدرجة لمن أراد أن يكون فاعلًا ومتفاعلًا في المستقبل القريب.

في بواكير الانتشار الواسع للحواسيب قدم كمبيوتر صخر خدمة جليلة للمتكلمين باللغة العربية. الآن، مشاريع لمؤسسات كبيرة مثل (G42 - الإماراتية)، و (هيومين - السعودية) متوقع منها

خدمة جبارة للمتكلمين بالعربية، ولهجاتها في طور لاحق قريبًا غير بعيد. ومن الجيد المحمود أن تكون هناك إمكانية استشراف رحلة معرفية يسيرة وسلسة للمتكلمين بالعربية كلغة أم، وقدرتهم على التعامل مع الزائر الجديد بصورة تفاعلية تجعل الاستفادة مما يقدمه الذكاء الاصطناعي مثله مثل غيره من الأدوات.

ثورة الذكاء الاصطناعي هي فتح كبير، بدايته كانت في محركات البحث على الإنترنت، ومن ثم دخول أدوات مثل البحث بالصور، أو البحث عبر الأوامر الصوتية، مرورًا بإنترنت الأشياء، الذي تتم فيه عمليات متعددة تتفاعل فيها الآلات الذكية (الأشياء) دون تدخل بشري مباشر، مثل إجراء ساعة ذكية لعمليات قياس ضغط الدم وحالة ضربات القلب وإرسال القراءات إلى قاعدة بيانات المستشفى التي يتعامل معها صاحب الساعة الذكية. وغيرها من الأدوات التي مهدت لسهولة التفاعل وصولًا للتعامل مع منصات الذكاء الاصطناعي.

بالطبع فإن الذكاء الاصطناعي سوف يجعل المهام يسيرة، ولكن على يسرها فهي تحتاج لمن يعرف كيف يتعامل معه. ولا غرابة في ذلك، فعندما تم اكتشاف الكهرباء كانت هناك شكوكًا عند من حضر ذلك الفتح الرباني عن إمكانية الاستفادة منها!

في تعريفه الأدنى فإن الذكاء الاصطناعي هو قدرة الحواسيب على فهم اللغة العادية والقيام بالمطلوب من بحث وتجميع وتحليل - كل ذلك في الخلفية غير الظاهرة للمتعامل - ومن ثم طرح النتائج بنفس اللغة التي تمت مخاطبته بها. كثير من الناس يتعاملون مع الذكاء الاصطناعي في أمور التنبؤات، ولكنه لا يتنبأ إلا بالقدر الذي هو من أدوات التنبؤ المدروس أي المبني على معطيات، وليس التنبؤ الحدسي. قوة الذكاء الاصطناعي هو في اختصار المجهود المصاحب لعملية إعادة اكتشاف وإنتاج العجلة، أي في تقديم آخر ما توصل إليه العلم المخزن في ذاكرة الحواسيب العملاقة في كل ما أنجزه العقل البشري في السابق وأصبح متاحًا للناس، الذي بطبعنا البشري لا يكون متاحًا كله لفرد، فالفرد قد يعرف عن مجال أو مجالات على أصابع اليد قدرًا معقولًا، ولكن حتمًا ليس كل المجالات، وهنا تأتي قوة الحواسيب التي تعمل مجتمعة لتقديم خلاصة لما يسأل عنه السائل وتقديمها في شكل مألوف ومفهوم باللغة العادية. وحتمًا سيكون المردود أعظم لو استبدلنا تساؤلات الفرد بتساؤلات

فريق عمل من شركة ما أو فريق بحث علمي، فحتمًا النتائج ستكون أعظم أثرًا.

هناك حقيقة كبيرة في عالم اللغة وارتباطها بالتفكير، بل في ارتباطها بالإدراك أولًا ومن قبله الاستيعاب. فاللغة هنا - أي لغة - حجر زاوية. وفي الماضي، بل وما يزال في الحاضر جدل كثيف حول فعالية ونجاعة استخدام لغة الأم لكل فرد وتفوقها على أي لغة أخرى مكتسبة، وإن وصل الفرد فيها لدرجة الاتقان تحدثًا وكتابة. من هنا تنبع أهمية تقديم الذكاء الاصطناعي باللغة العربية للناطقين بها كلغة أساسية. هذه العملية تبدو بسيطة، ولكنها جد عميقة ومؤثرة جدًا في سباق الحضارة. من هذه الزاوية فإن مؤسسات ضخمة مثل هيومين التي هي إحدى مشاريع صندوق الاستثمارات العامة السعودي، وكذلك مشروع نور البحثي التابع لحكومة الإمارات، وشركة G42 الإماراتية، وبقية المشاريع والشركات الشبيهة في منطقة الخليج، كل أولئك ينتظر منهم تقديم خدمة سلسة للمتكلمين بالعربية (وبغيرها طبعًا)، مما يجعلهم في صدارة المستفيدين. هناك مشاريع كثيرة على امتداد العالم تتخذ من اللغات أساسًا متينًا للدخول للمعرفة الحديثة. والسباق في هذه المجالات مفتوح وبصورة تنذر باضمحلال أي لغة لم يتخذ أهلها طريق ربطها بالتطور التقني. أهمية اللغات في صراع الحضارات أهمية فائقة. ولنا في صعود اللغة الصينية حاليًا مثال كبير، فهي تتجه سريعًا لتحل مرتبة لغات كانت في الماضي متفوقة لها في عالم التقانة وعالم التواصل والغنتاج المعرفي.

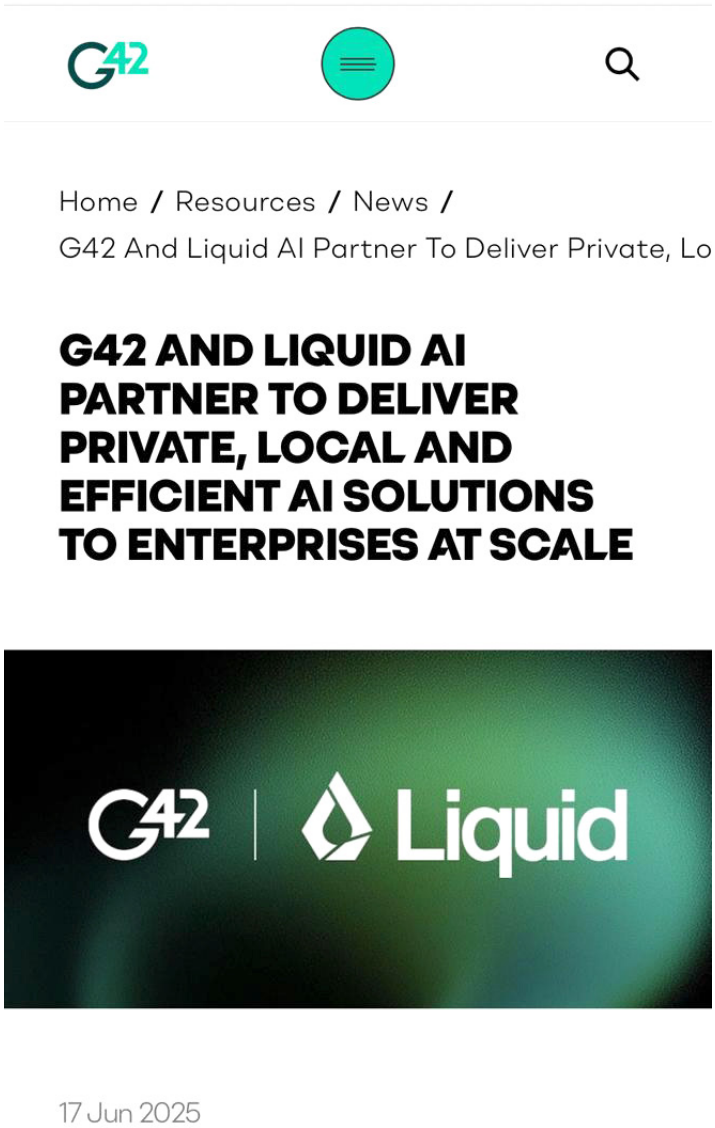

عود على بدء، يخطو التحول الرقمي في المنطقة العربية خطوات جديدة جبارة عبر أبواب المستقبل، بتوطين التقانة وربطها باللغة وإتاحة الخدمات الضخمة للذكاء الاصطناعي، وكل خدمات بنيته التحتية من تحليل عميق وتقديم خدمات الذكاء الاصطناعي كخدمة سحابية أقرب في مفهومها لتقديم خدمات السوفتوير لتكون مدارةً سحابيًا، ويكفيك فقط واجهة شاشة متصلة بمراكز خدمات الذكاء الاصطناعي، أو ربما أقل من ذلك، فقط حساب واشتراك ولك أن تدخل من أي منفذ إلكتروني.

في عالم الأعمال والتنافس عليها، فإن تهيئة البيئة العملية تكون من واجبات الجهات السيادية التي تنفذ الجوانب التي ليس لها عائد مادي مباشر أو سريع الأثر، مثل البنية التحتية ووضع أنظمة قانونية تنظم الأعمال التجارية بصورة واضحة وسلسة جاذبة للمستثمرين. هذا ما تفعله أي دولة ذات توجه رشيد نحو القفز للمستقبل وريادة المجالات الجديدة. فإذا كنا في السابق قد امتدحنا سبق القطاع الخاص للقطاع العام في مجال صناعة الحواسيب ذات الواجهات العربية عبر الشركة الكويتية التي انتجت كمبيوتر صخر، فإننا الآن نرى أن القطاع العام قد تصدى لواجبه الأساسي في إنجاز البنية التحتية اللازمة لتوطين الذكاء الاصطناعي - وهو عمل جبار - ومن ثم تمكين القطاع الخاص لينطلق ويتوج تكامل القطاعين في صورة خدمات يسيرة وبلغة مفهومة.

*خبير في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات
ammarhamoda@gmail.com

تفنيد المغالطات وتأكيد الحقائق حول الحرب في السودان

عمار حامد العوض

ملخص

يسلط المقال الضوء على تحليل الدكتور بكري الجاك لمغالطات شائعة في الخطاب العام حول الحرب السودانية، منبّهًا إلى خطورة هذه المغالطات على فهم طبيعة الصراع وسبل إنهائه، وداعيًا إلى موقف عقلاني، واضح، ورافض لمنطق الحرب.

يشير إلى أن الحرب أحدثت تحولات اجتماعية واقتصادية ونفسية عميقة، أبرزها النزوح الجماعي، والانقسام المجتمعي، والدمار الاقتصادي الهائل.

يدعو الكاتب إلى بناء مشروع وطني ديمقراطي شامل، يتضمن إصلاح الدولة، وتوزيع السلطة، وتأسيس دولة المواطنة والعدالة.

يرى الكاتب أن مواجهة الحرب في السودان تتطلب موقفًا أخلاقيًا حاسمًا، وتحليلًا دقيقًا لتعقيدات الواقع، ورفضًا قاطعًا للتبسيط والتضليل، وهو دعوة صريحة للعمل من أجل السلام العادل، وبناء بديل ديمقراطي يستجيب لطموحات الشعب، ويكسر الحلقة الجهنمية للعنف والاستبداد.

يأتي مقال الدكتور بكري الجاك في توقيت بالغ الأهمية، حيث يسلط الضوء على مغالطتين جوهريتين تتكرران في الخطاب العام حول الحرب المدمرة في السودان وسبل إيقافها. يمثل هذا المقال صرخة عقلانية وسط ضجيج الحرب وأصوات من يحاولون تبسيط الأمور المعقدة أو إلقاء اللوم على الأطراف الخطأ. وذلك لأن ما يطرحه من تحليل نقدي للمغالطات السائدة يستحق التأييد والدعم، ليس فقط لدقته التحليلية، بل لأنه يضع الأصبع على الجرح الحقيقي في الخطاب السياسي السوداني المعاصر.

منذ اندلاع الحرب في 15 أبريل 2023 بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، والسودان يعيش كابوساً حقيقياً لم يشهد له مثيلاً في تاريخه الحديث. هذه الحرب التي دخلت عامها الثالث، خلفت وراءها دماراً شاملاً وأزمة إنسانية غير مسبوقة، حيث أصبحت أكبر أزمة نزوح في العالم مع نزوح 14.3 مليون شخص، أي ما يمثل ثلث سكان السودان. في ظل هذا الواقع المأساوي، تبرز أهمية التحليل الذي قدمه الدكتور بكري الجاك، الذي يكشف عن المغالطات التي تحول دون الوصول إلى فهم صحيح لطبيعة الأزمة وسبل حلها.

المغالطة الأولى: وصف الموقف الرافض للحرب بالحياد:

يصيب الدكتور بكري الجاك كبد الحقيقة عندما يؤكد أن الموقف الرافض للحرب ليس موقفاً محايداً، بل هو موقف واضح ومبدئي يقوم على فهم عميق لطبيعة الأزمة السودانية. هذا الموقف لا يقف على الحياد إزاء المعاناة الإنسانية، بل يرفض الحرب كوسيلة لحل الأزمات السياسية انطلاقاً من قناعة راسخة بأن الحرب لا تحل المشاكل، بل تعقدها وتخلق مشاكل جديدة أكثر تعقيداً.

إن القوى المدنية الرافضة للحرب، وعلى رأسها التحالف المدني الديمقراطي لقوى الثورة (صمود)، لم تتخذ موقفاً محايداً من الحرب، بل اتخذت موقفاً واضحاً ومحدداً يهدف إلى إنهاء الحرب، وتفادي سيناريو الحرب الأهلية الشاملة. هذا الموقف يقوم على أسس علمية ومنطقية واضحة، تتمثل في فهم أن الحروب الأهلية لا تنتج سوى الدمار والخراب، وأن الحلول السياسية هي الطريق الوحيد للخروج من الأزمات المعقدة.

الأدلة التاريخية والمعاصرة

التاريخ السوداني نفسه يقدم أدلة دامغة على

صحة الموقف الرافض للحرب. فالحروب الأهلية التي شهدها السودان في الجنوب وفي دارفور لم تحل أي مشكلة، بل خلقت مشاكل جديدة وعمقت الانقسامات الاجتماعية والسياسية. الحرب الحالية تؤكد هذه الحقيقة بشكل مأساوي، حيث تشير التقارير إلى فقداننا (حسب المعلومات الموثقة حتى الآن) خمسة عشر ألف مواطن/ة سوداني ونحو ثلاثة وثلاثين ألف جريح مع 14.3 مليون بين نازح ولاجئ، بالإضافة للخسائر الاقتصادية التي تقدر بـ 600 مليار دولار، مع تآكل الناتج القومي بأكثر من 50% هذه الأرقام المهولة تؤكد أن الحرب لا تحل المشاكل بل تدمر البلاد وتقضي على مقدرات الشعب.

من ناحية أخرى، فإن وصف القوى المدنية الرافضة للحرب بأنها «محايدة إزاء القتل والسحل والاغتصاب» هو، كما يقول الدكتور بكري الجاك، «محض تدليس». هذه القوى لم تقف محايدة إزاء هذه الجرائم، بل أدانتها بشدة ودعت إلى محاسبة مرتكبيها. تقارير منظمات حقوق الإنسان الدولية تؤكد أن كلاً من القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع ارتكبا انتهاكات واسعة شملت القتل خارج القانون والعنف الجنسي والنهب وتدمير البنى التحتية. القوى المدنية لم تصمت عن هذه الانتهاكات، بل كانت من أوائل من أدانها ودعا إلى وقفها.

المنطق الاستراتيجي للموقف الرافض للحرب:

الموقف الرافض للحرب يقوم على منطق استراتيجي سليم يدرك أن الحروب الأهلية تخلق دوامات من العنف يصعب الخروج منها. هذا المنطق يستند إلى فهم عميق لطبيعة الصراعات المعاصرة، التي تتميز بتعقيدها وتداخل العوامل المحلية

والإقليمية والدولية فيها. الحرب في السودان ليست مجرد صراع بين طرفين، بل هي انعكاس لأزمة وطنية عميقة تتعلق بطبيعة الدولة ونظام الحكم وتوزيع السلطة والثروة.

إن القوى المدنية الرافضة للحرب تدرك أن حل هذه الأزمة المعقدة لا يمكن أن يأتي من خلال القوة العسكرية، بل من خلال عملية سياسية شاملة تعالج الأسباب الجذرية للصراع. هذا الفهم ليس نابعاً من ضعف أو تردد، بل من قوة وثقة في قدرة الحلول السياسية على معالجة المشاكل المعقدة بطريقة مستدامة.

المغالطة الثانية: مطالبة القوى المدنية بالجلوس مع الإسلاميين - تفكيك المنطق المعيب وتعقيدات الخريطة السياسية

يسلط الدكتور بكري الجاك الضوء على مغالطة أخرى لا تقل خطورة عن الأولى، وهي المطالبة المبسطة للقوى المدنية بالجلوس مع الإسلاميين لإيقاف الحرب. هذه المغالطة تنطلق من فهم مبسط ومشوه لطبيعة الصراع الحالي والقوى المؤثرة فيه. إن من يطرح هذا الحل السحري يتجاهل حقائق أساسية حول طبيعة التيار الإسلامي في السودان وموقفه من الحرب والسلام.

أولاً، كما يشير الدكتور بكري الجاك بحق، فإن الإسلاميين ليسوا كتلة صماء موحدة. التيار الإسلامي في السودان يضم تيارات وفصائل متعددة، بعضها يشارك في الحرب بشكل مباشر، وبعضها يدعمها من الخلف، وبعضها قد يكون له مواقف مختلفة. هذا التنوع يجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، التفاوض مع «الإسلاميين» كطرف واحد موحد.

ثانياً، وهذا هو الأهم، فإن التيار الذي يقاتل في الحرب الحالية لم يعلن بوضوح ماذا يريد تحديداً، ولم يبد أي موقف تفاوضي واضح بحد أعلى وحد أدنى. كيف يمكن للقوى المدنية أن تتفاوض مع طرف لا يعرف ماذا يريد، أو يرفض الإعلان عن مطالبه بوضوح؟ هذا الغموض المتعمد في المواقف يجعل أي محاولة للتفاوض مجرد مضيعة للوقت في أحسن الأحوال، أو فخاً سياسياً في أسوأها.

العداء المعلن لقوى التغيير:

النقطة الأكثر أهمية في تحليل الدكتور بكري الجاك تتعلق بطبيعة موقف دعاة الحرب من الإسلاميين تجاه قوى التغيير وثورة ديسمبر. هذا الموقف ليس مجرد خلاف سياسي عادي، بل هو عداء وجودي واضح ومعلن. منذ اندلاع ثورة ديسمبر في 2018، التي نجحت في الإطاحة بنظام عمر البشير بعد ثلاثين عاماً من الحكم الاستبدادي أظهر التيار الإسلامي عداءً واضحاً لكل ما تمثله هذه الثورة من قيم ومبادئ.

هذا العداء ليس مجرد موقف سياسي، بل هو موقف وجودي يرى في نجاح ثورة ديسمبر وقوى التغيير تهديداً مباشراً لوجوده ومصالحه. لذلك، فإن ما يريده هذا التيار من القوى المدنية ليس التفاوض أو الحوار، بل الاستسلام الكامل والاصطفاف معه في حربه لاستعادة السلطة. الخيار الوحيد المطروح أمام القوى المدنية، وفقاً لهذا المنطق، هو إما الانضمام إلى معسكر الحرب أو أن تُوصف بالخيانة والعمالة.

الممارسات العملية على الأرض تؤكد صحة هذا التحليل فقد شهدت الفترة الماضية حملات منظمة ضد القوى المدنية الرافضة للحرب، تضمنت منع الأوراق الثبوتية، وفتح بلاغات قضائية، بل وصلت إلى حد التهديد بالقتل في بعض الحالات. طلبت النيابة العامة من قادة القوى المدنية تسليم أنفسهم للسلطات بتهمة «تقويض الدستور وإثارة الحرب ضد الدولة»، وهي جرائم تصل عقوبتها إلى الإعدام.

هذه الممارسات تكشف عن حقيقة الموقف: إن ما يُطلب من القوى المدنية ليس الحوار أو التفاوض، بل الاستسلام الكامل والتخلي عن مبادئها وأهدافها. إن من يطالب القوى المدنية بالجلوس مع الإسلاميين يتجاهل هذه الحقيقة الواضحة، أو يتعمد تجاهلها لأغراض سياسية.

هناك كذلك تناقض صارخ في موقف دعاة الحرب من الإسلاميين، وهو تناقض يكشف عن طبيعة أولوياتهم الحقيقية. فبينما يتخذون مواقف صفرية تجاه القوى المدنية التي تدعو للسلام ولا تحمل السلاح، نجدهم أقل عداءً تجاه من يحمل السلاح ويقاتل ضدهم. هذا التناقض يكشف عن أن العداء الحقيقي ليس موجهاً ضد من يحمل السلاح، بل ضد من يمثل مشروعاً سياسياً مختلفاً يهدد هيمنتهم على السلطة.

إن هذا التناقض يؤكد أن الحرب الحالية ليست مجرد صراع عسكري، بل هي جزء من صراع أوسع حول مستقبل السودان ونظام الحكم فيه. القوى المدنية في صمود تنادي بمشروع ديمقراطي يقوم على التعددية والمشاركة السياسية واحترام حقوق الإنسان، بينما يمثل التيار الإسلامي مشروعاً استبدادياً يقوم على الهيمنة والإقصاء.

الواقع الجديد الذي خلقته الحرب وتغيير المعادلات السياسية:

يطرح الدكتور بكري الجاك نقطة بالغة الأهمية حول الواقع الجديد الذي خلقته حرب 15 أبريل. هذه الحرب لم تكن مجرد صراع عسكري عابر، بل كانت زلزالاً سياسياً واجتماعياً غيّر من طبيعة المعادلات في السودان بشكل جذري. إن من يعتقد أنه يمكن العودة إلى ما قبل 15 أبريل 2023 يعيش في وهم كبير، لأن هذا التاريخ يمثل نقطة تحول لا رجعة فيها في التاريخ السوداني المعاصر.

الحرب خلقت واقعاً اجتماعياً جديداً يتميز بمستوى غير مسبوق من الاستقطاب والانقسام. المجتمع السوداني، الذي كان يتميز تاريخياً بقدرته على التعايش رغم التنوع، أصبح منقسماً بشكل حاد على أسس عرقية وإثنية وسياسية. هذا الانقسام ليس مجرد خلاف في الآراء، بل هو شرخ عميق في النسيج الاجتماعي يحتاج إلى جهود جبارة لإصلاحه.

من الناحية الاقتصادية، دمرت الحرب البنية التحتية للبلاد بشكل شبه كامل. تدمير أكثر من 100 فرع مصرفي، وتوقف القطاعات الإنتاجية، وانهيار الخدمات الأساسية، كل هذا خلق واقعاً اقتصادياً جديداً يتطلب إعادة بناء شاملة. إن من يتحدث عن العودة إلى الوضع السابق يتجاهل حجم الدمار الهائل الذي لحق بالبلاد.

الأثر النفسي والاجتماعي

لا يمكن تجاهل الأثر النفسي والاجتماعي العميق للحرب على الشعب السوداني. نزوح 14.3 مليون شخص، أي ثلث السكان، ليس مجرد رقم إحصائي، بل هو كارثة إنسانية حقيقية تركت آثاراً عميقة على ملايين الأسر. هؤلاء النازحون فقدوا ليس فقط منازلهم وممتلكاتهم، بل فقدوا أيضاً شعورهم بالأمان والاستقرار، وهو ما سيترك آثاراً نفسية طويلة المدى.

الحرب خلقت أيضاً جيلاً جديداً من الأطفال الذين نشأوا وسط العنف والدمار. هؤلاء الأطفال، الذين يقدر عددهم بالملايين، سيحملون ذكريات الحرب معهم طوال حياتهم، وهو ما سيؤثر على نظرتهم للعالم وعلى قدرتهم على بناء مجتمع سلمي في المستقبل. إن إعادة تأهيل هذا الجيل وعلاج آثار الصدمة النفسية التي تعرض لها سيكون تحدياً كبيراً يواجه السودان في المستقبل.

تعقيد الخريطة السياسية:

الحرب عقدت الخريطة السياسية السودانية بشكل كبير. ظهور تحالفات جديدة، وانقسام القوى السياسية التقليدية، وبروز فاعلين جدد، كل هذا خلق واقعاً سياسياً معقداً يختلف جذرياً عما كان عليه الوضع قبل الحرب. القوى المدنية نفسها انقسمت في مواقفها من الحرب، حيث أيد بعضها أحد الطرفين بينما حافظ البعض الآخر على موقفه الرافض للحرب .

هذا التعقيد في الخريطة السياسية يجعل من الصعب تطبيق الحلول التقليدية أو العودة إلى الترتيبات السياسية السابقة. إن أي حل سياسي مستقبلي يجب أن يأخذ في الاعتبار هذا الواقع الجديد المعقد، وأن يتعامل مع التحديات الجديدة التي فرضتها الحرب.

رد على دعاة الحلول المبسطة وهم الحل السحري:

يواجه الدكتور بكري الجاك بشجاعة أولئك الذين يروجون لحلول مبسطة ومضللة للأزمة السودانية. هؤلاء الذين يعتقدون أن إيقاف الحرب يمكن أن يتم ببساطة من خلال رضوخ القوى المدنية لأجندة تحالف المال والسلطة، يعيشون في وهم كبير. هذا الوهم خطير لأنه يصرف الانتباه عن الحلول الحقيقية ويضع اللوم على الطرف الخطأ.

إن القوى المدنية الرافضة للحرب لا تملك عصا سحرية لإيقاف الحرب. هذه القوى لا تملك السلاح، ولا تسيطر على الأرض، ولا تملك القدرة على إجبار أطراف الصراع على وقف القتال. ما تملكه هذه القوى هو الشرعية الأخلاقية والسياسية، والرؤية الواضحة لمستقبل السودان، والقدرة على تقديم بديل حقيقي للعنف والاستبداد.

خطورة إلقاء اللوم على الضحية:

إن إلقاء اللوم على القوى المدنية في استمرار الحرب هو نوع من إلقاء اللوم على الضحية. هذه القوى هي التي تدفع ثمن موقفها المبدئي من خلال التهديدات والملاحقات والاتهامات. هي التي تواجه حملات التشويه والتضليل. هي التي تُحرم من حقوقها الأساسية وتُمنع من ممارسة دورها السياسي الطبيعي.

إن من يطالب هذه القوى بالتنازل عن مبادئها والاستسلام لأجندة تحالف المال والسلطة، يطالبها في الواقع بالانتحار السياسي. هو يطالبها بأن تتخلى عن كل ما تؤمن به، وأن تصبح مجرد أداة في يد من يريدون إعادة إنتاج النظام الاستبدادي السابق. هذا ليس حلاً للأزمة، بل هو استسلام كامل لمن تسببوا في الأزمة من الأساس.

الأزمة السودانية معقدة ومتشابكة، وتحتاج إلى حلول معقدة ومتشابكة أيضاً. إن من يبحث عن حلول بسيطة لمشاكل معقدة إما أنه لا يفهم طبيعة المشكلة، أو أنه يتعمد تبسيطها لأغراض سياسية. الحرب في السودان ليست مجرد خلاف بين طرفين يمكن حله بجلسة تفاوض واحدة، بل هي انعكاس لأزمة وطنية عميقة تحتاج إلى معالجة شاملة.

هذه المعالجة الشاملة تتطلب إعادة النظر في طبيعة الدولة السودانية، وفي نظام الحكم، وفي توزيع السلطة والثروة، وفي العلاقة بين المركز والأطراف، وفي دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية. إنها تتطلب أيضاً معالجة الأسباب الجذرية للصراع، وليس مجرد معالجة أعراضه.

يختتم الدكتور بكري الجاك مقاله بدعوة مهمة وضرورية: عدم إعطاء الحرب مشروعية أخلاقية مهما تدثر الحديث عن وجود مثل هذه المشروعية. هذه الدعوة تصيب كبد الحقيقة، لأن إعطاء الحرب مشروعية أخلاقية هو أول خطوة في طريق تطبيعها وقبولها كوسيلة لحل الصراعات.

لا توجد حرب أخلاقية في السودان اليوم. ما يحدث هو صراع على السلطة والثروة، يدفع ثمنه الشعب السوداني البريء. إن محاولة إضفاء طابع أخلاقي على هذا الصراع، من خلال الحديث عن «الدفاع عن الوطن» أو «محاربة الإرهاب» أو «حماية الديمقراطية»، هي محاولة لتضليل الرأي العام وكسب تأييده لحرب لا مبرر أخلاقي لها.

الدعوة إلى «هزيمة الحرب» وليس مجرد إيقافها، هي دعوة عميقة ومهمة. هزيمة الحرب تعني رفض منطق العنف كوسيلة لحل الصراعات، ورفض ثقافة الحرب التي تحاول أن تترسخ في المجتمع السوداني. إنها تعني أيضاً رفض الاصطفاف خلف أطراف الحرب، وعدم إعطائها الشرعية الشعبية التي تحتاجها لاستمرار قتالها.

هزيمة الحرب تتطلب جهداً جماعياً من كل القوى المدنية والشعبية الرافضة للعنف. إنها تتطلب بناء جبهة واسعة للسلام تضم كل من يؤمن بأن المستقبل يجب أن يُبنى بالحوار والتفاوض وليس بالرصاص والقذائف. هذه الجبهة يجب أن تعمل على عدة مستويات: محلياً من خلال رفض ثقافة الحرب ونشر ثقافة السلام، وإقليمياً من خلال كسب تأييد الدول المجاورة للحل السلمي، ودولياً من خلال الضغط على المجتمع الدولي للتدخل الإيجابي لوقف الحرب.

كذلك فإن هزيمة الحرب لا تكفي وحدها، بل يجب أن تقترن ببناء البديل الديمقراطي. هذا البديل يجب أن يقدم رؤية واضحة ومقنعة لمستقبل السودان، رؤية تقوم على العدالة والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية. يجب أن يكون هذا البديل قادراً على معالجة الأسباب الجذرية للصراع، وعلى تقديم حلول عملية للمشاكل التي يواجهها الشعب السوداني.

بناء هذا البديل يتطلب عملاً دؤوباً على عدة مستويات. على المستوى الفكري، يجب تطوير رؤية شاملة للدولة السودانية المستقبلية تأخذ في الاعتبار التنوع الثقافي والعرقي والديني في البلاد. على المستوى السياسي، يجب بناء تحالفات واسعة تضم كل القوى الديمقراطية والمدنية. على المستوى الشعبي، يجب العمل على كسب تأييد الجماهير للمشروع الديمقراطي من خلال تقديم حلول عملية لمشاكلها اليومية.

أخيراً، يجب علينا العمل الجماعي من أجل السلام. هذا العمل يجب أن يشمل كل من يؤمن بأن مستقبل السودان يجب أن يُبنى على أسس سلمية وديمقراطية. يجب أن نعمل جميعاً، كل من موقعه، على هزيمة الحرب وثقافة العنف، وعلى بناء البديل الديمقراطي الذي يحقق تطلعات الشعب السوداني في الحرية والعدالة والكرامة.

إن مقال الدكتور بكري الجاك ليس مجرد تحليل أكاديمي، بل هو دعوة للعمل. دعوة لكل من يؤمن بأن السودان يستحق مستقبلاً أفضل من الحرب والدمار. دعوة للوقوف مع الحق ضد الباطل، ومع السلام ضد الحرب، ومع الديمقراطية ضد الاستبداد. هذه دعوة نؤيدها بقوة، وندعو الجميع إلى تبنيها والعمل من أجل تحقيقها

حاشية

هذا المقال تعقيباً على منشور الدكتور بكري الجاك بعنوان «ملاحظات عامة بشأن مغالطات تتكرر في الخطاب العام عن الحرب وسبل إيقافها»، كتبه على صفحته بفيسبوك بتاريخ 5 يوليو 2025 . ويُنشر نظراً لأهمية موضوعه «الحرب في السودان».

العاصمة المصرية القاهرة تحتضن معرضاً للكتاب السوداني..

ملخص

احتضنت العاصمة المصرية القاهرة معرضًا للكتاب السوداني، نظمته دور نشر سودانية بمقهى «عندليب الثقافي» بمنطقة الفيصل، في فعالية ثقافية تهدف للترويج للكتاب السوداني رغم ظروف الحرب.

شهد المعرض في 3 يوليو تدشين كتاب «المتن الروائي المفتوح: فن القص السردي عند الطيب صالح» للناقد محمد خلف، بحضور لافت من الكتّاب والإعلاميين والدبلوماسيين. الكتاب يمثل خلاصة تفاعل نقدي امتد لعقود مع أعمال الأديب الطيب صالح، واتسم بتحليل عميق ومقاربات متعددة.

يُعد محمد خلف من أبرز النقاد السودانيين، وله مساهمات واسعة في المشهد الثقافي، من بينها تأسيس جماعة تجاوز الثقافية واتحاد الكتّاب السودانيين ورابطة الكتّاب والصحفيين في المملكة المتحدة.

ويبرز المعرض كفعل مقاومة ثقافية يؤكد على حيوية النشر السوداني في وجه التحديات، وقد شمل المعرض فعاليات متنوعة كندوات، توقيعات كتب، قراءات شعرية وموسيقية.

أفق جديد - محمد إسماعيل

احتضنت العاصمة المصرية القاهرة معرضًا للكتاب السوداني، نظمته دور النشر السودانية بمقهى عندليب الثقافي في منطقة الفيصل، ويعنى بالتسويق للكتاب السوداني والتعريف بالكتاب. صاحب المعرض الذى تم افتتاحه يوم 22 يونيو برامج وفعاليات، اشتملت على ندوات وحفلات توقيع وتدشين لبعض المؤلفات الحديثة، إلى جانب فعاليات موسيقية وقراءات شعرية شارك فيها عدد من الشعراء السودانيين.

ورصدت «أفق جديد» دور النشر السودانية المشاركة التي تضم منشورات عندليب، دار المصورات، دار بدوي، الموسوعة الصغيرة، دار الأجنحة، الكنداكة للنشر، دار نرتقي، مركز الفأل الثقافى، باركود، منشورات كلمات، دار مدارات للنشر.

ويجيء هذا المعرض للدور السودانية كفعل ثقافي لتجاوز آثار الحرب التي طالت كل شيء..

شهدت أمسية الخميس 3 يوليو بمقهى عندليب حفل تدشين كتاب (المتن الروائي المفتوح فن القص السردي عند الطيب صالح) للكاتب والناقد محمد خلف، وذلك ضمن برنامج معرض الدور السودانية للنشر.

تحدث فى الأمسية عدد من أصدقاء الكاتب وإدارتها الأستاذة منى الرشيد نائل، وفي تقديمها للأمسية قالت معرفة بالكتاب والكتاب:

ويأتي الكتاب، الذي يشتغل على المتن الروائي للطيب صالح، في 224 صفحة من القطع المتوسط وصدر حديثاً عن معهد إفريقيا. جامعة الدراسات العالمية بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. وشمل الكتاب على تمهيد كتبه الناقد المعروف عبد اللطيف علي الفكي بالإضافة لمقدمات مقالات موازية لكل من الكاتب والباحث الدكتور محمد عبد الرحمن حسن بوب، والكاتب والناقد الدكتور أحمد الصادق بريز، وترجمات للكاتبة والمترجمة لمياء شمت.

موضحة: الكتاب يُعد حصيلة عقود من التفاعل النقدي مع أعمال الأديب السوداني العالمي الطيب صالح، حيث ضم مجموعة مقالات كُتبت ما بين عامي 1991 و2019، اتسمت بعمق التحليل، وتوظيف أدوات متعددة من المدارس الفلسفية والنفسية، ما يمنح القارئ مدخلًا ثريًا لفهم نصوص الطيب صالح في ضوء قراءات متعددة الأبعاد.

الناقد نادر السماني قال :

كل ما يمكن أن يقال فى حفلنا لتدشين الإصدارة الأخيرة للكاتب محمد خلف أنها دراسة لموضوع ليس جديدًا بالتأكيد ودرس بأشكال وآراء مختلفة ولكن مع ذلك استطاع محمد خلف بامتلاكه الأدوات النقدية المميزة أن يفتح نصوص الطيب صالح ويخرج منها ما لم يخطر بالبال، ويفاجئ القارئ ليس حدسًا، إنما استند على النص الروائي وأسس ترتيبه بشكل جديد ومدهش، واستطاع من خلاله أن يعقد عددًا من المقاربات النقدية التي قد لا تتبادر إلى الذهن من أول وهلة بل قد تستنكر بعض الآراء من النظرة الأولى.. وأضاف: إلا أن محمد خلف استطاع بما يمتلك من قدرات معرفية عميقة بنصوص الطيب صالح أن يقنعك أو على الأقل أن يجعلك متقبلًا هذه الأفكار التى طرحها في كتابه .

وقال السماني: هذا الكتاب لا يمثل فقط وثيقة نقدية متينة عن إرث الطيب صالح بل يؤكد على حضور ناقد عميق سلط الضوء على مجمل أعمال أديبنا الكبير الطيب صالح.

السيرة :

محمد خلف من مواليد أم درمان حي بيت المال 1951. درس في مدرسة بيت المال الأوَّليَّة وثم مدرسة بيت الأمانة الوسطى والمدرسة الأهليَّة الثانوية أمدرمان، وتخرج في جامعة الخرطوم، كلِّيَّة الآداب قسم الفلسفة 1976؛ من مؤسسي جماعة تجاوز للثَّقافة والإبداع حيثُ شغل منصب الرَّئيس. من مؤسسي اتحاد الكُتَّاب السودانيين حيث كان عضوا في لجنتِه التَّمهيديَّة، وأيضًا من مؤسِّسي رابطة الكتاب والصَّحفيِّين بالمملكة المتَّحدة، حيث كان رئيساً للرَّابطة، ورئيساً لتحرير مجلَّتها (ألواح). شارك بأوراق عنِ الطَّيِّب صالح في العديد من المؤتمرات بلندن والقاهرة. نُشِرَت له مقالاتٌ ودراساتٌ في العديد من الصُّحف والمجلَّاتٍ العربيَّة والسُّودانيَّة.

حضور نوعى :

وتميزت الأمسية بحضور نوعي من الكتاب والدبلوماسيين والإعلاميين.

ما أعتى حربك يا بشر!

محمد أحمد الفيلابي

ملخص

المقال يستعرض أثر الحرب السودانية على البيئة، والصحة العامة، والمياه، والزراعة، من خلال عدسة رمزية وشاعرية تُحاكي صراع الإنسان مع عناصر الحياة الأساسية التي تحوّلت إلى مصادر موت بدلًا من أسباب بقاء.

يناقش الكاتب أزمة الحصول على مياه نظيفة، خاصة في مناطق النزوح، وفي ظل تدمير البنية التحتية، ويبرز معاناة النازحين، خاصة النساء والأطفال، الذين يسيرون لساعات بحثًا عن الماء وسط مخاطر الحرب والعنف.

يُبرز المفارقة بين الدعوات الرسمية للعودة إلى المناطق الأصلية، وبين الواقع القاسي على الأرض، حيث لا ماء ولا صحة ولا خدمات، ما يجعل العودة محفوفة بالخطر.

يعود الكاتب مرارًا إلى جملة «ما أعتى حربك يا بشر»، لتصبح مرآة لحرب لم تعد بين جيوش، بل بين الإنسان وكل ما يمسّ حياته: ماؤه، أرضه، غذاؤه، صحته، وأمله في الغد. هي حرب كبرى في شكل أزمات صغيرة، يتراكم فيها الموت البطيء على ضفاف النهر وتحت تراب الذهب المسموم.

جملة مكثّفة.. عميقة.. صادقة أوردها (حميد) في سياق الحكي حين وجد بطل ملحمة (الضو وجهجهة التساب) نفسه محاصرًا بين النهر الهائج، والمطر النازل في غير موقعه، والرياح التي تسوق الهواجس والمخاوف، وتسقط أشجار النخيل والثمار. ويزيد عليها كيد البشر أصحاب الفِقَر، الأغنياء المترفين...

«والينجا من كيد البحر.. ما ينجا من إيد المطر
والينجا من إيد المطر.. ما ينجا من كيد الرياح
والينجا من كيد الرياح.. ما ينجا من كيد الفِقَر
ويا ده القدر... ما أعتى حربك يا بشر»

هذا ما كان من حرب النهر، عندما كان الإنسان يصارع الماء والرياح، وما ألم به جراء كيد الفاسدين من أهل السلطة. أما اليوم فقد بات النهر نفسه ملوّثًا يحمل من السموم بقدر ما كان يحمل من الرحمة والنِّعَم. وباتت الرياح لا تأتي إلا بالهواء المشبّع بالبارود والسلاح المميت. أما (الفِقَر) فقد ظلّت تتصارع لأكثر من عامين لتلوي عنق الحقيقة، ولتجزّ أعناق الصغار (الضامرة)، وتلوّح بها انتصارًا.

ماذا جرى للنهر، أحد أسباب حياتنا ووجودنا الجغرافي؟ النهر الذي كان حين يغضب لأيام معدودات يعود بعدها إلى مجراه مخلفًا طميًا يُعد من المنح المنتظرة. خصبًا تتفتح له مسام الأرض التي أهلكتها الزراعة غير المرشدة، وغسلًا (طيّبًا) لما تشربته عروقها من سموم المخصبات والمبيدات. فيعيدها سيرتها الأولى لتمارس العطاء.

النهر، ومن قبل اندلاع الحرب كان قد أصبح مغسلة لسموم التعدين الأهلي، الذي ما كان له أن يكون بهذا الانتشار لولا أن سياسات التنمية المتوازنة قد ضاعت في سرابيل أهل الفِقَر الذين أغلقوا أبواب التنمية الريفية، وأخلوا باحات مدارس الرحّل من المعلّم والمنهج الذي كان من شأنه أن يبقى النسبة الأعظم من الشباب بعيدين عن الأزياء العسكرية بمختلف ألوانها، قريبين من (أرواحهم) ومن إدراك ماذا يعني وطن ومواطن. بعيدين من قوائم الهدم والتدمير، قريبين من سكة التعمير والنماء.

من تزيّا بالكاكي وجد من يضع في يديه السلاح الفتّاك يوجهه إلى صورته على وجه الماء، ونحو أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه. ومن بقي منهم في أسماله تلك، جلس قريبًا من ضفة النهر يراكم دون وعي ذرات الزئبق والسيانيد في كبده، ويفلت منها ما يسيل إلى المجري، تتجرعه الحيوانات النهرية والبرية والطيور، والبشر. أما ما ينسرب إلى الأحواض الجوفية، فيستخرج بعد عناء كبير في ظل غياب الطاقة والبدائل، ليشربها المواطن - إن وجد إليها سبيلًا - بين الرصاص وتهديدات عبور الإرتكازات، وفرق (الشفشفة) المحروسة بالسلطات والسلاح.. والخوف المستبطن..

وما أعتى حربك يا بشر.

ماذا يبقى للإنسان تحت سماوات الأمان الذي يقال عن استتبابه؟ وما الأمن سوى جرعة ماء نظيفة، وظلًا يأوي، وقصعة طعام تلتقي فيها الأيدي بعد أن تكون قد مارست حميمية السلام، وحمدت، وسألت الله أن يدمها نعمة من الزوال. وما الزوال سوى هذا الذي نرجو زواله؟

لماذا يغيب الماء عن شبكاته؟

لماذا الـ«مزارع بتيبس ونيلك ممدّد جنازة»؟ كما

قال القدّال.

رغم التحذير المستمر من خطورة التعدين العشوائي، وأضرار استخدام الزئبق والسيانيد، إلا أن الظاهرة ظلت تتصاعد، خصوصًا بعد فقدان الغالبية العظمى لمصادر الدخل. وقد لجأ عشرات الآلاف – إن لم يكن الملايين للتعدين الأهلي. وازدهرت في ظل الفوضى تجارة المواد المحرمة دوليًا. ومن ذلك أن تم ضبط 100 برميل من مادة السيانيد السامة، مُخزَّنة داخل منزل سكني بأحد أحياء الدامر، في حادثة أثارت ذعرًا واسعًا بين السكان، وسط تحذيرات من مختصين من تداعيات «مُروِّعة» على صحة المواطنين والبيئة، واتهامات بفساد مؤسسي يُغذّي جرائم بيئية يمكن أن تُوصف بـ «الحرب الكيميائية على الشعب».

وتبقى الأسئلة المحلّقة فوق الرؤوس: «كم برميلًا آخر مخفيًا بيننا؟ ومن يحمينا من الكارثة القادمة؟

ذلك لأن هذه المادة تقضي على الأخضر واليابس، وتأثيرها سريع على البيئة المحيطة، ولا تستثني شيء الإنسان والحيوان والنبات والتربة والمياه. فهي مهدّد حقيقي لوجود الحياة على المناطق التي تشهد زيادة في عمليات التعدين العشوائي باستخدام هذه المادة.

كنا سعداء بسريان العافية قليلًا في جسد الوطن بعد الثورة، ومن ذلك أن وقعت الحكومة في (سبتمبر 2021) على اتفاقية (ميناماتا) الدولية الخاصة بحظر استيراد واستخدام الزئبق. وتواصل الضغط من أجل خطوة المصادقة، تمهيدًا لإيجاد الطريق الذي يمكننا أن نمشي فيه نحو إعادة ترتيب وضع التعدين عن الذهب. بحيث تتشارك الإشراف عليه الحكومة والجهات المعنية بأمر البيئة. بيد أن الذهب نفسه هو ما ذهب بأحلامنا المشروعة تلك، حين شرع أصحاب المصالح في اتخاذ إجراءات تحفظ مصالحهم بغض النظر عن الخسائر التي سيتجرعها الوطن والمواطن.

وما أعتى حربك يا بشر..

«نموت إن زادت الموية، ونموت من قلتها»..

شهدت البلاد منذ اندلاع الحرب أكثر من كارثة فيضان، وانهيارات للسدود، وغرق. ومع كل هذا شهدنا، ونشهد العطش يحصد الأرواح والزرع والضرع.. والمياه الملوّثة تنشر الأمراض والموت الزؤام..

وما أعتى حربك يا بشر.

قبل الحرب انطلقت التحذيرات بأن أكثر من ربع سكان السودان يستغرقون قرابة الساعة للحصول على الماء. فقد ذكر مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) أن «26% من السكان يسيرون لأكثر من 50 دقيقة للعثور على مياه، ويُعرضون أنفسهم لمخاطر أمنية، لا سيما النساء».

ومن مخيم «سرتوني» للنازحين بشمال دارفور، الذي يضم أكثر من 65 ألف شخص، انطلقت شكوى أحد المواطنين عبر (وكالة الصحافة الفرنسية) متضمنة الحديث عن الحق في توفر مياه الشرب، إذ أن اطفاله، ومنذ اندلاع الحرب، يسيرون مسافة 14 كيلومترًا يوميًا لجلب المياه.

وفي كل يوم يتجدّد القتال ويذهب الناس إلى المخيمات، وهناك يواجهون مشكلة توفر المياه، وزيادة في تكاليف المعيشة مع انعدام الأمن. وقد أوجز أحد الدبلوماسيين الأوربيين القضية في أنه «حتى لو توفرت المياه، إذا تعطّلت المضخّة، أو لم يكن الوقود متوفرًا، لن تتمكّن من الوصول إليها»، مشيرًا إلى أن «النظام الصحي قد انهار، والناس يشربون المياه غير النظيفة».

لن نقول إن نبوءة الدبلوماسي الأوربي قد صدقت، فقد سبقه للتحذير أهل الشأن البيئي والصحي، وها قد بدأت تظهر بعض الحالات المؤكدة للكوليرا في عدد من الولايات السودانية، الأمر الذي يهدد بخطر تحول المرض إلى وباء واسع الانتشار، خاصة في ظل هشاشة النظام الصحي وغياب بنية تحتية فاعلة للمياه والإصحاح البيئي. ذلك مع وجود حالات شبيهة بالكوليرا، وقريبة الشبه بكارثة أخرى من كوارث الحرب. وبجانب افتقار 17.3 مليون شخص إلى مياه الشرب، ما جعلهم عُرضة لخطر الإصابة بالأمراض، يفتقر حوالي 24 مليون شخص إلى مرافق الصرف الصحي المناسبة. وقد عجزت مرافق الدولة المعنية بتغطية خدمات الصرف الصحي. ليشكل الأمر واقعًا مزريًا، مع ما بدأ قبل الحرب بسنوات من تحويل عمل البلديات الخدمي إلى سياسي، وإهمال الأدوار التي كانت كفيلة بتقليل خسائر مرافق المياه والصرف الصحي، حتى في حال نشوب الحرب.

وما أعتى حربك يا بشر..

الآن، وفي ظل تركيز منصات الاعلام الرسمية على ضرورات عودة المواطن، تنتشر حكايات العودة المصطدمة بواقع الحال، وما نتج عن اتساع الهوة بين مستوى تطوير شبكات ومحطات الضخ، والتوسع الجغرافي والبشري الذي شهدته العاصمة الخرطوم والمدن الأخرى قبل الحرب. ومنذها بدأت الشكاوى، فماذا يمكن يكون قد حدث لشبكات الضخ، ومحطات التنقية بعد أكثر من عامين على الحرب.

وما أعتى حربك يا بشر...

كراسات الفيلابي

السر السيد

ملخص

في كراسات الفيلابي، نحن أمام تجربة شعرية تُعلي من شأن الحياة، وتقاوم الفناء من خلال الجمال، وتسعى لأن يكون الإبداع في قلب الفعل الاجتماعي والسياسي.

وبحسب الكاتب هذه الكراسات لا تُقرأ كأعمال أدبية فحسب، بل كوثائق روحية وفكرية صاغها شاعر متورط في قضايا عصره وشعبه، شاعر يرى في الكلمة وسيلة لإعادة بناء الذات والمجتمع في آنٍ معًا.

يشير الكاتب إلى أن هذه النصوص تتنوع بين الشعر والنظم، وفيها مراوحة بين الجمالي والمضموني، بين الإيقاع الداخلي وبين التوظيف المباشر للغة في سياق تربوي توعوي.

يخلص الكاتب إلى أن كراسات الفيلابي ليست مجرد كتابات شعرية، بل هي مشروع ثقافي يتداخل فيه الإبداع مع التنمية، والمقاومة مع التوعية، والحب مع المسؤولية. إنها صوت مثقف عضوي، يرى أن الجمال لا يجب أن يكون منفصلًا عن الألم، وأن الشعر لا يكتفي بأن يكون زينة، بل سلطة.

توطئة:

تنهض كتابات الفيلابي جميعها على بنية إبداعية ما مستهدفة ما يمكن أن يقع في التنمية المجتمعية بمفهومها الشامل، فهو يتوسل بالشعر والسرد والمسرح والدراما والغناء، لينتج حزمة من الأفكار والمفاهيم والأخيلة، تصب في ما يمكن وصفه بالدفاع عن الحياة، لذلك فهي كتابات متآزرة تبحر في بحر التنوير والمقاومة متلاطم الأمواج .

في كتابته التي بين يديك عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة الموسومة بـ(دربات يقين.. استشعار الحاجة لأن تكون مجددًا)، المكونة من ثلاثة كراسات بالترتيب هي:

الكراسة الاولى بعنوان: (المحك)، والكراسة الثانية بعنوان: (الما عندو محبة.. ما عندو الحبة)، والكراسة الثالثة بعنوان: (معقولة بس).

عتبة أولى:

أشير بداية أن الكراسة الأولى (المحك)، تتكون من 13 قصيدة، والكراسة الثانية تتكون من قصيدة طويلة هيكلها المعماري يقوم على تقنية الترقيم، والكراسة الثالثة تتكون من 8 قصائد.

قصائد الكراسات الثلاثة كتب بعضها قبل الحرب، وبعضها كتب أثناء الحرب، وجميعها تراوح بين الشعر وبين ما يقترب من (النظم)، أحيانًا، وجميعها تخاطب، المواطن، مقيمًا كان أو مغتربًا أو نازحًا أو لاجئًا، تخاطبه بوصفه إنسانًا مسؤولًا وقادرًا علي ابتداع المقاومة، وتحسين حياته برغم القهر والحرب والدمار، لذلك يمكن القول إن الكراسات الثلاثة جاءت معبرة عن الدعوة للمساواة بين الجنسين، وعن التنوع وعن الموروثات الثقافية، وعن الدعوة للحفاظ على البيئة، وعن أهمية التعليم، وعن الهوية الخاصة والهوية العامة، وعن أهمية النقد وإعادة بناء الذات.. جاءت معبرة عن الصوت المقاوم، باختصار معبرة عن التغيير الناهض على المعنى والمحبة والجمال.

عتبة ثانية

في المراوحة في ما أسميته (الشعر وما هو أقرب إلى النظم)، يحضرني قول شاعرنا الكبير محمد طه القدال في مقدمته لمجموعة الفيلابي الشعرية، «هي دي الحياة».. يحضرني قوله: (وأرى أن الشعر في هذه الكراسة قسمان، غناء تتبدّى فيه شاعرية الشاعر وشعرية الشعر. وغناء آخر يوظف فيه

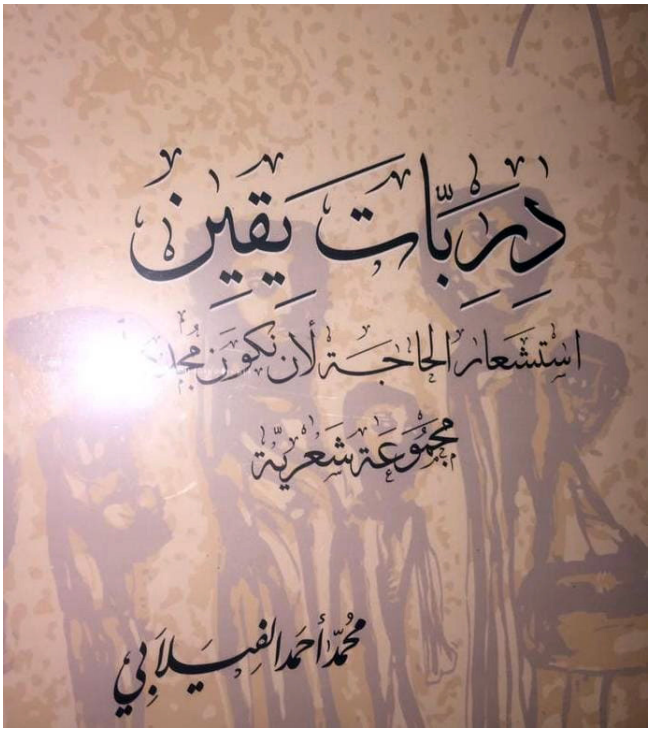

الشاعر شاعريته لخدمة القيم التي يتبنّاها ويدعو لها)، وأجدني لا أبعد كثيرًا عما ذهب إليه القدال، ففي الكراسات الثلاثة نقف على قصائد تنهض على شعرية الشعر، وأخرى تراوح بين الشعر والنظم، ولعل هذا مرده إلى أن الفيلابي ينطلق من فرضية: (إن الفنون، ومنها الشعر والنظم بالطبع، هي الأقدر على إدماج المواطنين في قضايا التغيير والمقاومة والتنمية المستدامة)، وهي فرضية يقول بها أهم علماء التنمية في عصرنا كأمارتيا صن، بل وحتى البنك الدولي بات يعوّل على هذه الفرضية، أما ما يثبت زعمنا بشأن الفيلابي فنظرة سريعة إلى كل ما كتب من غناء ومسرح وسرد ودراما، سنجدها كلها مكرسة لموضوعات تحرير الفرد وتحسين حياته واستعادة إنسانيته، وقد صدق شاعرنا الكبير محجوب شريف عندما قال في مقدمته لكتاب الفيلابي «ديل نحن.. إبداعات الأطفال في خدمة قضايا البيئة والمجتمع»، فقد قال:

(هذه التجربة - في المقام الأول استخدام حرفي قائم على التصدي لقضايا ومفاهيم وأمراض وأعراض مباشرة...إلخ).

عتبة ثالثة:

وصلًا لما سبق سأورد بعض عناوين قصائد الكراسات الثلاثة، ففي الكراسة الأولى نجد عناوين (المحك، بكرة جايينا الصباح، تباين، وطن، اعتراف،

التنوع قيمة)، وفي الكراسة الثانية، وهي قصيدة طويلة جاءت على طريقة الترقيم من الرقم «1» إلى الرقم «25»، ومع ذلك من الكلمات المفتاحية لكل رقم نجد كلمات (فلنتأمل، حياة، توازن، روحك، عتمة، الما عندو محبة.. ما عندو الحبة)، وفي الكراسة الثالثة نجد عناوين (معقولة بس، التعاوني، ضد الفساد، خيط رفيع، في الكُوشة ثروة).

ها أنتم ترون أن كل هذه العناوين وغيرها مما حفلت به الكراسات الثلاثة، إنما تشير إلى نشدان أصيل للحياة الحرة والأنسنة والتساؤل الخلاق اجتماعيًا ووجوديًا.

عتبة رابعة:

ما تجب الإشارة إليه هنا هو أن هذه الكراسات الثلاثة تخلقت في فضاءات ثلاثة، هي فترة حكم الإنقاذ بما فيه من قهر وفساد ومقاومة، وفترة ثورة ديسمبر بما فيها من بسالة وأحلام عريضة وخذلان، وفترة حرب الخامس عشر من أبريل 2023 بما فيها من قتل ودمار وتخريب واغتصاب ونزوح ولجوء، وبما فيها من مقاومة شعبية مرتكزها الأساس ثقافات السودانيين في التضامن والتكافل والتعاون والبِر... هذه الحرب التي لا تزال مستمرة وببشاعة أكبر.

سأستأنس في هذا الجزء من هذه القراءة العامة بنماذج من قصائد الكراسات الثلاثة.

جاء في الكراسة الأولى وفي قصيدة (الأمر ما عاد مستتر):

أجساد نساء
ساحة حرب
أمن المواطن ينسلب
صبر المواطن ينضرب
والحدود قد تنمحي.

وجاء في قصيدة (اعتراف):

يبقي يلزمنا اعتذار
والاعتذار
ما ببقي شهقة ودمعتين
بل عمل.

وجاء في الكراسة الثانية، تحت الرقم «8»:

كون إيجابي
في تفكيرك
في تدبيرك
في تقديرك
في تغييرك نمط الشوف السالب فيك
خليك جاهز لي يوم بكرة
زيك زي الغيرك قد تتعثر
وقد تتعسر
وقد تتأثر
أي إنسان ممكن يتعثر
أنسي العثرة
خلي (العترة عدلة دربك)
قوم من تاني.. وبي إصرار
ما حا تفشل
لو فكرت مجرد فكرة
إنك قادر وانك ماشي
بي تدبير الخالق
سيد القدرة
خليك راضي
وزيدو محبة
والما عندو محبة
ما عندو الحبة.

وجاء في الكراسة الثالثة وفي قصيدة (خيط رفيع):

.....

والحقوق ياها الحقوق
في كل مكان
في كل زمان
محروسة في سياج الوعي
وبي شرايع
موضوعة بي حس من وعي
شي مهم
والاحتياجات الأساسية حق
زي الأمان والمعرفة
وحق سماع الصوت
قبل يتلاشى في الزحمة
ويضيع
عندك كمان
حق اختيار السلعة
والخدمة التناسب حوجتك
وما تزيد عن قدرتك.

ختامًا أقول:

هذه كتابات تطمح في أن يكون الإبداع متورطًا في أسئلتنا اليومية، تراوده ويراودها، إثراء للوجود وتحسينا للحياة الإنسانية، وقبلًا قال فولتير: (إن الحياة تشبه حطام سفينة، لكن ينبغي علينا ألاّ ننسى أبدًا أن نغني في أثناء ركوبنا قوارب النجاة).

الكلمة ليست زينة، بل سلطة

سـارة الجـاك:

ما يحدث في السودان مخطط مُحكم لتفكيك الذاكرة والهوية

في أيامنا المظلمة هذه، لم نعد نبحث عن الجمال في الأدب، بل عن النجاة. عن جملة تُمسك بأطرافنا ونحن ننزلق إلى قاع العدم، عن صوت يشبهنا ولا يخجل من البكاء، عن كاتبة لا تضع مسافة بينها وجرحنا النازف، بل تسكنه وتكتب منه في قلب هذا البحث.. التقينا الكاتبة والروائية والناشطة النسوية سارة حمزة الجاك

في حوار ليس نصًا يُقرأ على عجل بين مشاغل الحياة، بل ممرٌ طويل نحو الذات، نحو الذاكرة، نحو كل ما كسرته الحرب ولم تقدر أن تمحوه.

سارة لا تجيب ككاتبة متمرّسة، بل كإنسانة تنقّبت في الألم، ومشت في لحم الأسئلة، وخرجت - ولو زاحفة - بجملة صادقة لا تخون.

كانت تبكي وهي تتكلم

ولم يكن بكاؤها زينة للعاطفة أو ضعفًا أدبيًا، بل كان اللغة حين تستعيد فطرتها: شهقة، وارتباك، وحنين، واعتراف.

كل إجابة قالتها كانت محمولة على نبضٍ لا يُرى، لكن يُسمع، على رجفة في اليد، وحشرجة في الحلق وعلى يقين بأن الكلمة - إذا ما كانت حقيقية - يمكنها أن تضيء ظلمة العالم بكامله، ولو للحظة.

في حديثها عن الحرب، لا تكتفي سارة بوصف الخراب، بل تفككه من الداخل، تحلّل لغته، تكشف أدواته، وتُعيد بناء المعنى على أطلال المنفى.

وفي حديثها عن الكتابة، نسمع صدى امرأة لا تؤمن بالحرف كزخرفة، بل كفعل مقاومة، كأداة تطهير، كمبضع يعبر الجرح ثم يقبّله معتذرًا.

حين تتحدث عن الجسد، فإنها لا تُجمّله ولا تبرّره، بل تمنحه حقه الكامل في الحكاية.

في زمن تُختزل فيه النساء في أرقام أو شعارات، تكتب سارة أجسادهن كما تُكتب البلاد: بحنان، وبألم، وبلغة خالية من الخداع.

وحين تتحدث عن المنفى، لا تبكي فقط على الوطن المفقود، بل تكتب من المنفى كأنها تُؤسس وطنًا بديلًا من الكلمات. وطنًا مؤقتًا، لكنه دافئ. تمنحنا في كل إجابة قطعة من ظلّ شجرة، رائحة حبوبتها، نداء شارع قديم، رعشة قهوة لم تُشرب، ودفء لحظة لم تُكتمل.

هذا الحوار ليس كشفًا عن سيرة كاتبة، بل سيرة بلد ينكسر، وتحاول أن تلملم فتاته عبر الحبر. ليس اعترافًا أدبيًا، بل طقس استشفاء جماعي، وصلاة مكتوبة بلغة امرأة لا تُجيد الزيف، ولا تهادن الخراب، ولا تساوم على الحقيقة.

من «النداء» إلى «معزوفة مريم»، من الجسد المنتهك إلى الكتابة المطهّرة، من الخراب الكبير إلى اليقين الصغير بأن الكلمة قد تمنع انهيار روح، أو تأخر سقوط ذاكرة، أو تمنحنا لحظة نصدق فيها أننا ما زلنا بشرًا.

في هذا الحوار، قالت سارة الجاك ما لا يُقال. أعادت للغة طهارتها، وللجملة جسدها، وللحزن جدواه.. اقرأوا هذا النص كما لو أنكم تقرأون قلبًا يُفرغ نفسه على الورق. اقرأوه كما لو أنكم تودّون أن تعتذروا لوطن لم تحموه، ولحكايات لم تكتبوها حين كان وقتها. اقرأوه كأن ما تبقّى من المعنى يتدلّى من حرف، أو من دمعة، أو من امرأة قررت أن تكتب لا لأنها أقوى، بل لأنها لم تمت بعد.

أقول لـ«البلابسة» و«الجغامسة».. أنا لست قوية كما تعتقدون لكنني لست ميتة كما تريدون لي أن أكون

في البدء كانت الكلمة... ما هي؟

تقول سيرتك إنكِ «وُلدتِ في بيت تُقدّس فيه الكلمة».. في زمن الحرب، حين تتهاوى البيوت، هل تظل الكلمة قادرة على منح الأمان؟ أم أن اللغة أيضًا تصبح منفى؟

الإجابات تتعدّد، لكنها تجتمع في كونها لحظة الخلق الأولى. في المسيحية، الكلمة هي اللوغوس، العقل الإلهي الذي تجسّد في المسيح. في الإسلام، الكلمة الأولى هي «كُن»: الأمر الإلهي الذي يحيي الوجود.

أما في الرؤية الصوفية، فالكلمة الأولى هي الحب، كما في الحديث القدسي: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أُعرف.» وبالنسبة لي، الكلمة التي كانت في البدء... هي النداء.

نداء داخلي لا يُقال لكنه يُسمع بالروح. لم تبدأ تجربتي مع «قالت»، بل مع «أحسّت».

تكوّنت الكلمة من شعور، صار صوتًا، ثم جملة، ثم كتابة تسعى لتوقظ الإنسان بلطف، وتذكره بأنه كان دائمًا محبوبًا وحيًا.

الكلمة في أصلها ليست حبرًا، بل نورًا، وحنينًا، ودعوة للرجوع إلى الذات. الكلمة ليست زينة، بل سلطة.

في الحياة اليومية، تُبنى بها ثقة طفل، وكرامة امرأة، وطمأنينة جسد مُنهك. وحين تُستخدم للحدب، تصنع الأمان؛ وحين تُلوَّث بالخوف، تُنتج العنف.

في السياسة، اللغة هي المقدمة الخفية لكل قرار، وهي الوسيلة الأولى لإضفاء الشرعية على العدل أو الظلم.

كل حرب تبدأ بإعادة تعريف الإنسان بالكلمات: مرة يُسمّى مواطنًا، ومرة يُجرَّد من اسمه ليُستباح.

لهذا، لا يُبنى السلام بالاتفاقات وحدها، بل بالكلمة التي تُعيد للناس شعورهم بأنهم مرئيون، مسموعون، محسوبون.

إن أردنا أمنًا حقيقيًا، لا بد أن نطهّر اللسان من التواطؤ، وأن نعيد للغة وظيفتها الأولى: الحفظ، لا التبرير.

فمن يُصلح الكلمة، يُصلح العالم. وقتها تمنح الأمان.

بالنسبة لي، الحرب والظلم وكل الأفعال التي على شاكلتهما ليست فقط ممارسات عنف خارجي، بل هي خلل مقصود في وظيفة اللسان، وانزياح متعمّد للغة عن مسارها الأصلي.

حين تُختطَف اللغة لتبرير القتل، لا تنقل الحقيقة، بل تُزيّفها. تتحوّل الكلمات من أدوات تواصل إلى أدوات تواطؤ، من رسائل حياة إلى غطاء للموت. وهنا، تُصبح اللغة منفى - فضاءً مُعاد تشكيله لخدمة القهر، لا لكشف المعنى.

أما اللسان - بوصفه عضوا حيًا، نابضًا، متصلًا بالفطرة والصدق - فهو الملاذ.

في هذا السياق، أرى أن كل حرب تبدأ بلحظة خيانة في التعبير: حين لا نقول ما نعرف، أو نُجمّل ما لا يُجمَّل، أو نُلبس الباطل ثوب البلاغة.

وهكذا، يصبح أول ضحايا الحرب الصدق، وأول أدواتها اللغة التي أُزيحت عن أصلها.

في كتاباتك ما يشبه الطقس الطهوري.. مزيج من الشعر والحفر النفسي العميق.. هل ترين الكتابة اليوم ضرورة علاجية لكاتبتها وقارئها، لا مجرد فعل جمالي؟

. الكتابة بالنسبة لي لم تكن ترفًا جماليًا، بل أداة كشْف داخلي عميق. بدأت كطريقة لأفهم كثافة الأسئلة التي تمور في ذهني، كأنني أرسمها رموزًا وصورًا قبل أن تتشكّل في لغة.

كانت الكلمات تخرج أولًا لتُضيء ما هو معتم داخلي، ثم ما لبثت أن تمددت، لتُقارب القضايا الكبرى والأسئلة المصيرية، لا بوصفها أفكارًا مُجرّدة، بل كأثر حيّ في الجسد والروح.

وهكذا تحوّلت الكتابة إلى مبضع نطّاس ماهر ينقر على الجرح، لا ليؤذي، بل ليُزيل الورم، يُطهّره، يُعيد حياكته، ثم يُقبّل أثر المبضع كأنه يعتذر قبل أن يمضي.

في هذا المعنى، الكتابة عندي ليست مجرد ممارسة فنية، بل طقس علاجي للكاتبة والقارئ معًا، وساحة صدق نادرة وسط ضجيج الزيف.

وفي زمن الحرب، يصبح هذا الطقس أكثر إلحاحًا، لأن الحرب لا تُدمّر المدن فقط، بل تقتحم الجسد. الجسد نفسه يُستباح، يُجرَّف من معناه، يُستخدم كساحة للمعركة دون إذن.

في روايتي، لم يكن الجسد غائبًا أو مؤنثًا فقط، بل كان لغة مستقلة، تحتفظ بكل ما لا يُقال: رعشة، صمت، انقباض، توتر، كلّها إشارات لا تُكتب بالحبر

بل تُنقش بالألم. وحين تكتب المرأة من داخل هذا الجسد، فهي لا تُوثّق فقط، بل تُعيد امتلاك المساحة. تحوّل الألم إلى وعي، وتستعيد السيطرة على ما حاولت الحرب نزعه منها: حقها في أن تحكي، وأن تُرى لا كضحية، بل ككائن حيّ يُقاوم، حتى ولو بالهمس.

الكتابة حينما تُعاش، لا تُكتب فقط.

هي لا تأتي من المفردات، بل من أثر العيش، من التماس الجرح، من مشي الكاتبة داخل لحم الأسئلة ودم المعنى.

حين تُعاش الكتابة، لا تعود مجرد حرفة، بل تصير مقامًا داخليًا تُقام فيه طقوس البوح، والتعرية، والتطهير.

تصبح النفس نفسها ورقةً بيضاء، يُكتَب عليها بالشك، بالشغف، بالخسارة، بالحب، بالحرب.

الكاتبة حين تكتب من مكان معيش، لا تبحث عن اللغة، بل تستدعيها من عصبها الداخلي. كل كلمة تُولد من إحساس، كل جملة تُقطّع من جلد الحقيقة، وكل نصّ هو محاولة لترميم ما لا يُرمم. في هذا المقام، لا تعود الكتابة مجازًا عن الحياة، بل هي الحياة نفسها وقد نُطقت.

الحرب.. حين يصير الجسد ساحة للمعركة

. ما يحدث في السودان اليوم يفوق الخيال: اغتصاب جماعي، استخدام النساء كدروع بشرية، قمع نفسي وجسدي.. كيف ترين مسؤولية الأدب إزاء هذه الانتهاكات؟ هل يستطيع السرد أن يدوّن ما لا يُقال؟

ما يحدث في السودان اليوم ليس فوضى عشوائية، بل مخطط محكم لتفكيك الذاكرة والهوية والبنية الأخلاقية للأمة.

الاغتصاب الجماعي، استخدام النساء كدروع بشرية، القمع الجسدي والنفسي، ليست انتهاكات معزولة، بل جزء من نهج مُرسوم بدقة، يشبه في وضوحه عمليات بيع الآثار عبر الإنترنت، وحرق بنك البذور والتقاوى وقبلهم فض الاعتصام وقتل الشباب بالكحول والمخدرات - كلها حلقات في مشروع محوٍ طويل المدى، يُنفّذ بعناية.

في هذا السياق، لا يمكن للأدب أن يلوذ بالتجميل أو المسافة. إن لم يُسمِّ الأشياء بأسمائها، يصبح شريكًا في التواطؤ. الأدب مسؤول عن كشف النية، لا فقط وصف النتيجة.

عن إعادة صوت من تم نزع صوته، وجسد من تم انتهاكه، إلى مركز الحكاية - لا بوصفهم رموزًا، بل كائنات حقيقية حيّة تستحق الإنصاف. أما السرد، فحين يُكتب من الداخل، لا من الخارج، حين يخرج من الجسد لا من النظرية، يمكنه أن يدوّن ما لا يُقال، ويُشهد العالم على ما يُراد له أن يُنسى .

نعم، يمكن للكلمة أن تُقاوم، وللسرد أن يكسر حاجز الإنكار، وللأدب أن يكون سلاحًا ضد المخطط لا مرآةً له.

هل تجدين صدى لغضبك كامرأة وككاتبة حين تكتبين عن الانتهاكات الجسدية؟ أم أن اللغة تخون أحيانًا أمام هذا القبح؟

لا أجد صدى لصوتي، لأنه وحيد ومبحوح في هذه اللحظة التاريخية الثقيلة، لكنني لا أراهن على الصدى، بل على شحذ الصوت، لا بصراخي وحدي، بل بتجميع الأصوات القادرة على الاستمرار.

ولهذا أعمل، عبر مؤسستي الثقافية الناشئة «الفال»، على التركيز على الأصوات النسائية، لا سيما اليافعات منهن، والفاعلات في الحقول الإبداعية المختلفة،

لأنني أؤمن أن الأدب وحده لا يكفي، لكن اتحاد الأصوات الجادة والمجروحة قد يفتح ما سُدّ.

أسعى لأن أضم جهدي إلى جهود المبدعين والمبدعات السودانيين في شتى الضروب الفنية، لتقوية صوتي وتمديد أثره، لا لأنني أطمح لمكانة، بل لأنني أؤمن بأن ما يجري يتطلّب موقفًا جماعيًا مسؤولًا لا مفر منه.

لا خلاص دون تعاضد واعٍ، ولا أمل دون رؤية موحدة بخيال طموح وجاد،

يُوظّف إرث الذين سبقونا، ويستثمر طاقات الناجين من هذه المذبحة -

بعد أن نداوي جراحهم، لننطلق معًا إلى رحابٍ أفضل.

«معزوفة مريم».. الرواية كشكل من أشكال الشفاء

سمعنا عن مشروع روايتك القادمة «معزوفة مريم»، المبنية على مفهوم «القراءة الاستشفائية».. هل لكِ أن تحدثينا عن هذه

التجربة؟ متى تصبح الرواية علاجًا؟ ولمن؟

«معزوفة مريم» وهي أولي المعزوفات «أوركسترا»، أوركسترا مشروع روائي طويل النفس، مكوّن من سبع معزوفات، تشير كل واحدة منها على إيقاع الجرح والشفاء والتحوّل، لكنها لا تنفصل عن الأخرى.

أوركسترا ليست سلسلة روايات تقليدية، بل تجربة شفاء إبداعي متعدد الطبقات، يحاول أن يُعيد الإنسان - عبر السرد - إلى ذاته الأصلية، المتّسقة مع الإيقاع الكوني للحياة. كتبتُ «معزوفة مريم» كبداية لهذه الرحلة.

بُنيت الرواية على مفهوم القراءة الاستشفائية، حيث لا تكون الرواية مجرد حكاية، بل طقسًا داخليًا، يحفّز القارئ لملامسة ذاته الأعمق، لا عبر الوعظ، بل بالتعاطف، والانكشاف، والتذكّر.

في «مريم»، هناك عشرة نزولات في الماء، تُعيد من خلالها البطلة تفكيك ذاكرتها الجسدية والنفسية، في محاولة لاسترداد صوتها بعد أن شُوّه، وجسدها بعد أن استُهدف، وطفولتها بعد أن كُسرت.

اللغة في هذه المعزوفة لا تُستخدم كأداة وصف، بل كمبضع شافٍ، وصدى داخلي، ومسار للنجاة. ما يميّز «أوركسترا» هو أن كل معزوفة لا تقف على السرد وحده.

بل لكل رواية فيها مُوازيات حسية وفنية:

- موازٍ بصري (في شكل لوحات وشخصيات وألوان).
- موازٍ موسيقي (نغمة، إيقاع، وتر معين).
- موازٍ عطري (رائحة تحمل الذاكرة والمزاج).

وكلها تعمل بتناغم لتوليد تجربة قراءة شاملة وحسّية، تُخاطب الجسد والروح معًا، وتفتح أفقًا جديدًا لتجربة الرواية.

حالياً، أعمل على «مزامير الميرم»، وهي المقطوعة الثانية من المشروع، تتناول طقس الشفاء الجماعي، من خلال نساء خضن الحرب، ولم يسلمن، لكن لم ينكسرن.

وفي الانتظار تأتي:

معزوفة سهام، معزوفة المزدهرة، معزوفة نهارة، معزوفة جليلة، ثم معزوفة العائدات - كل منها تُضيء وجهًا من وجوه التجربة، وتُغني اللحن العام لهذا العمل الذي أراه أوركسترا للوعي، وللحياة، ولإمكانية النجاة.

. شخصية «مريم» تبدو وكأنها أيقونة جديدة في الوجدان السوداني بعد 15 أبريل.. لماذا اخترتِ هذا الاسم؟ وماذا تقول بطلتك عن النساء في زمن الانهيار؟

«مريم» ليست مجرد اسم اخترته لبطلة روايتي - إنها ابنتي الرابعة، ونداء داخلي ظلّ يرافقني منذ وُلدت.

فيها شيء من البطلة، شيء من الأم، وشيء من مريم النبية: المرأة التي واجهت الكون وحدها، وسكنها النور دون أن تطلبه، وأنجبت من تحت جذع نخلة لا ظل لها؛ كما أن لاسم مريم حضوره الخاص في قاموس الابداع السوداني (مريم محمود نموذجًا).

رمزية مريم تتجاوز العقيدة، هي الأيقونة الكونية للاتصال الصامت بالله، للاتساق مع الإيقاع الأكبر للحياة، للقوة التي لا تصرخ، بل تصمد، وتلد، وتنهض رغم الجرح.

مريم النبية لم تكن رسولًا، لكنها كانت رسالة تمشي. وحين أسكنتُ هذا الاسم في روايتي، كنت أستدعي كل هذه الدلالات، وأُسقطها على المرأة السودانية في زمن الحرب - التي لم يزُرها الملاك، لكنها سمعت النداء، التي لم يُنزل عليها كتاب، لكنها كتبت جسدها كأنه سفرٌ لا يُنسى.

بطلة الرواية، مريم، لا تصرخ، لكنها تُقاوم، تُنقّب في الماء عن ذاكرتها،

تحمل جسدها كأرض مستباحة تُعيد تطهيرها بالنزول، بالغوص، بالتذكّر.

هي لا تقول شعارات، لكنها ذات يوم، حين انهارت جدران الداخل والخارج، نظرت لنفسها في مرآة مكسورة وقالت:

«أنا لست قوية كما تعتقدون...

لكنني لست ميتة كما أرادوا لي أن أكون.»

تلك هي مريم.

وتلك، كما أراها، هي المرأة السودانية في زمن الانهيار - لا تبحث عن مجد، بل عن بقاءٍ له معنى.

الرواية السودانية: من التهميش إلى الأمل

قلتِ في وقت سابق إن الرواية السودانية تقف اليوم على «عتبة مستقبل زاهر».. لكن هل تخشين أن تقاطع الحرب هذا المستقبل؟ كيف يمكن حماية الإبداع في لحظة الخراب؟

نعم، قلتُ وما زلت أقول الرواية السودانية تقف اليوم على عتبة مستقبل زاهر -

ليس لأن الخراب قد انقشع، بل لأن الصوت خرج من الظل، والوجع كُتب، والسارد أخيرًا رأى نفسه في النص لا على الهامش.

لكنني لا أنكر الخوف. الحرب قد تقاطع هذا المستقبل، ليس فقط بالقنابل، بل بما تفعله في النفوس من تكسير، وبما تزرعه من شعور بعدم الجدوى، وبما تفرضه من أولويات البقاء.

ومع ذلك، أؤمن أن الإبداع لا يُقتل - بل يتحوّل. في

لحظة الخراب، لا نحمي الكتابة بجدران، بل بالوعي، بالتعاضد، وبخلق فضاءات بديلة تتجاوز مؤسسات الدولة، وتخترع أراضيها الخاصة.

الإبداع السوداني لم يولد في صالات مكيفة، بل في الظل، في البيوت، في الخوف، في الحفر العميقة للنفس.

ولذلك، إن أردنا حماية هذا المستقبل، علينا أن نكتب لا فقط بالرغبة، بل بالإصرار،

أن ندعم بعضنا البعض كمبدعين، أن نخلق شبكات للأمان الفكري، أن ننقذ المخطوطات كما ننقذ الأرواح، وأن نتذكّر دومًا أن الرواية ليست ترفًا، بل وثيقة نجاة.

في خضم الدمار، ما الذي يتغير في ذائقة القارئ السوداني؟ هل صار يطلب الحقيقة؟ المواساة؟ أم الهروب؟

في زمن الحرب، لا تتغيّر ذائقة القارئ السوداني فقط، بل يتوزّع حضوره بين الصمت المُفخّخ، والبحث الحثيث عمّا يبرر له الانسحاب.

لم يعد يقرأ ليُسلّي نفسه، بل ليعرف:

هل في النص نَفَس حيّ؟

هل فيه ما يُشبهه؟

هل فيه كلمة تقول له: «نراك، رغم الغبار»؟

لكن القارئ، أغلبه، اليوم يسجّل غيابه من دفاتر الوعي. بين من «يلبس» شعارات الالتزام والانضباط، ليتجنّب الرؤية المباشرة للهشاشة، وبين «جغم بس»، ابتلع القبح والعجز والخذلان دفعة واحدة، ومضى - يقف الجسد السوداني حائرًا، تُطارده اللغة من جهة، وتخذله الرواية الرسمية من جهة أخرى..

وأنا أكتب للبلابسة و للجغامسة. أكتب لمن لم يجد ثوبًا ولا لقمة، بل وجد نفسه عاريًا في وجه الحقيقة، يبحث عن صوت لم يُخن. أكتب لأحفظ ما سيسقط من بين أصابع المؤرخين، لأنني أعرف أن الصمت ليس حيادًا، بل شكلًا آخر من أشكال المشاركة في الجريمة.

القارئ السوداني اليوم لا يهرب، بل يتحصّن على طريقته. وأنا لا ألومه، لكنني لا أتركه. أضع النص في طريقه، كمن يُشير لا ليهدي، بل ليقول فقط: أنا معك. ما حدث فظيع، لكنه لا يجب أن يُنسى. اكتب لأمنح الوعي مقعدًا، فقد فقد الوعي مقعده.

المبدع في زمن النزوح والرماد

كثير من المبدعين السودانيين اليوم صاروا نازحين، لا يملكون مكتبًا ولا وطنًا.. هل تغير المنفى شكل الكتابة؟ هل تفقد الجملة دفئها حين تُكتب من الاغتراب؟

المنفى لا يُغيّر شكل الكتابة فقط، بل يُعيد تشكيل الكتابة نفسها. حين يُنتزع المكان، لا يبقى للمرء إلا الذاكرة، والصوت، والجُملة التي تخرج من قلب لم يعد له جدار. نعم، كثير من المبدعين السودانيين اليوم يكتبون من تحت الخيام، أو فوق الأرصفة، أو بين محطتين لا اسم لهما، يكتبون بلا مكتبة، بلا دفاتر قديمة، بلا حضن أم، ولا عطر دار.

في زمن النزوح، لا تُفقد الجملة دفئها، لكنها تفقد عاداتها. تصير مشدودة أكثر، مرتجفة أحيانًا، تخلو من الترف، وتمتلئ بالأسى، تنقش نفسها على العظم لا على الورق. أحيانًا تكون ناقصة، مبتورة، لكنها حقيقية — لأن من يكتبها لا يملك وقتًا للكمال، فقط يكتب كي لا يختنق. الكتابة من المنفى ليست أضعف، بل أكثر توترًا، وأكثر صدقًا حين تُولد من الحنين، من الخوف، من صمت المدن الغريبة. المبدع السوداني لا يكتب الآن من منفى خارجي فقط، بل من منفى داخلي أعمق:

منفى اللغة التي لم تعد تحميه، منفى البلد الذي لم يعد يراه، ومنفى الحكاية التي صار عليه أن يرويها وهو مبلّل بالغبار.

ومع ذلك، أؤمن أن المنفى لا يطفئ الجملة، بل يعيد إشعالها في مكان آخر - في طبقة أعمق، أكثر حذرًا، لكنها مشتعلة من الداخل.

ما الذي فقدته سارة الجاك ككاتبة وإنسانة منذ اندلاع الحرب؟ وما الذي بقي من تلك الفتاة التي كتبت أول قصة وهي في التاسعة؟

فقدتُ أشياء كثيرة منذ اندلاع الحرب - لكن أكثر ما فقدته هو تفاصيل الحياة التي كانت تصنعني دون أن أنتبه. فقدت زحمة السوق العربي، حين كنتُ أتوه عمدًا في الأصوات والروائح. فقدت الأمسيات الرتيبة التي كنت أظنها مملة، واكتشفت أنها كانت رحمًا للكتابة. فقدت مشوار الركشة من شارع الكلس إلى مربع عشرة، وصوت نعمات، حبوبتي، وهي تناديني باسم لا يعرفه أحد غيرها.

فقدت قرارًا عاديًا مثل: أن أذهب للديوم، أن أجلس تحت شجرة النيم الكبيرة، دون خوف، دون إذن، دون حساب للنجاة. فقدت صوت الكمسنجية في موقف الحاج يوسف، الضجة التي كانت تزعجني، ثم صارت - في الغياب - عزفًا أعرف مقامه جيدًا. كل هذا وأكثر، فقدته.

ومع ذلك، بقيت داخلي تلك الطفلة التي كتبت أول قصة في التاسعة. لا تزال هناك، تهمس لي وسط هذا الرماد: «اكتبي، لا لتُنقذي كل شيء، بل لتُبقي على بعضك حيًا.»

اليوم، لا أكتب كما كنت، لكنني - رغم كل شيء - ما زلت أكتب. وهذا، في ذاته، شكل من النجاة والولاء.

بلاغة الصمت وتربية السكون: من اللغة إلى السلوك»

صبحى عبد النبي

ملخص

يتناول المقال العلاقة العميقة بين الصمت والسكون كقيمة تربوية وسلوكية، وينطلق من الفروقات الدقيقة بين مفردات: الصمت، السكون، السكوت في اللغة العربية، ليصل إلى تطبيقاتها في الحياة اليومية.

الصمت هو الامتناع الطوعي عن الكلام، وقد يكون أبلغ من القول، ويقترن بالحكمة والهيبة، والسكون هو انعدام الحركة والضجيج، ويعبّر عن الطمأنينة والسكينة، وهو ثمرة من ثمار الصمت.

يرى الكاتب أن الصمت ليس ضعفًا بل قوة، وقد يكون وسيلة فعّالة في التربية، وإدارة الغضب، والتعامل مع الجهلاء. يستدل على ذلك بمواقف من السيرة النبوية، وأقوال الحكماء مثل الإمام الشافعي والمتنبي، الذين رأوا في الصمت وقارًا، وفي الرد على السفيه تبديدًا للطاقة.

يخلص المقال إلى أن الصمت لا يعني التخلي عن الحق، بل هو خيار ذكي في كثير من المواقف، ويجب أن يُربى عليه الأبناء والمعلمون والمجتمعات كقيمة تفضي إلى السكون والسلام.

الصمت هو التوقف عن إصدار الصوت كاختيار بدلا عن الرد بالكلام .

والصمت أبلغ احيانا من الرد، وقيل «إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب «، وهذا يدل على أن الصامت عكس المتكلم .

وكثيرا مايتعلق الصمت بالحكمة وهذا لايتوفر في السكوت

مثال: صمت الحكيم عن الكلام

أما السكون فهوم انعدام الحركة عموما سواء عن قصد أومن غير قصد وهو هدوء الأعصاب .

ومن أمثلة السكون ،سكون الليل من أي صوت. و يقال سكنت الرياح ويستخدم في المجلات الفيزيائية غالبا. وسمي المنازل بالسكن لأنها موطن الهدوء والسكن يعني الرحمة كذلك. وتجد العلاقة بين الصمت والسكون نتاج سلوكي تربوي إذا من ثمار الصمت السكون ، فلاسكون بلا صمت .

أما السكوت هو قطع الحديث بعد بدئه، بسبب خوف او تردد أو غيره ، يقول الأزهري في تهذيب اللغة (ص 111)

يُقَال:

أَخْطَفَ لي فلانٌ من حَديثهِ شَيْئا ثمَّ سَكتَ، وَهُوَ الرجل يَأْخُذ فِي الحَدِيث ثمَّ يَبدو لَهُ فيقطعُ حَديثَه ويأتي السكوت بمعنى السكون كما في قوله تعالى (سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) ويمتد السكون إلى الموت حينا كما في حادثة الماعز(فرَمَيناه بجَلامِيدِ الحرَّةِ حتَّى سكَت) بمعنى حتى مات.

وتمتد هذه المفردات اللغوية الرائعة في أسلوب حياتنا اليومية لنسير بها في خارطة طريق تربوية ، فلا تعتقد أن إثبات الذات لا تأتي إلا بالكلام

حيث قال الشاعر :

أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة .والكلب يخزي لعمر الله نباح .

فإننا نغفل كثيرا عن مصدر الهيبة والتوازن النفسي الذي نبني به بيوتا آمنا ومجتمعا راقيا ، وذوقا عاليا ، ألا وهو الصمت في المواضع التي نحتاج له كوسيلة لدرء مخاطر الجهلاء . فالمعلم في بيئته المدرسية والأب في بيته والمرشد في مجتمعه يجدون الثمرات الصالحات من الصمت أما ترى أن المشاكل والتوتر تبتعدان من مواضع الصمت بعدًا واسعًا، إذ تجد المخطيء إشعارا محرجا من مواضع الصمت ، وكما أشرنا في اللغويات لهذه المفردات إن السكون والأمان نتيجة للصمت . وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، لم يُقابَله النبي ﷺ بصراخ أو توبيخ، بل صمت وتركه حتى انتهى، ثم وجّهه برفق. ومن عظم التربية بالصمت قال صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» .

ولم يغب الأئمة من الإشارة للصمت كطريقة جادة للتربية حيث قال الشافعي:

إذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبهِ
فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن كلمتَهُ فرّجتَ عنهُ
وإن خلّيتَهُ كمَدًا يموتُ

فالسكوت هنا لايعني الفرار بل أسلوب حاضر ومؤثر في مثل هذا الموقف إذ السفيه يزيد من شدة الاشتعال كلما سمع كلاما يتعلق بأمره .لأن الكلام تفرج عنه الهدوء .

وقال المتنبي:

وودُّك للصمت أبلغُ في الردى
من النطق إن لم تجد فيه محمدا

وهنا يبين موضع الذي لايجدي النطق فيه شيئا محمودا

ويقول آخر:

لعمرك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها
ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ
فصمْتُ الفتى خيرٌ من النطقِ بالسُّفَه
وفي الصمتِ سترٌ للفتى لو يَعقِلُ

فكأن الشاعر يتطرق لأمر كان مجهولا أنذاك وهو الصمت ، فيحثهم على عدم تجاوز أسلوب الصمت وخيريته من النطق وستره في مواقف العقلاء .

خلاصة الامر لاتعني الدعوة إلى الصمت تجاهل الحق وعدم الدفاع بالكلام ، ولكن أردنا نحي موقفا كاد أن يموت ليجد مساحة في أسلوب حياتنا.

وإن الشرور تموت بالتجاهل إذا التجاهل ذكاء والصمت قوة .

د. صبحي عبد النبي عبد الصادق هو كاتب وباحث لغوي سوداني
ويعمل أستاذا للغة العربية بالمدارس الثانوية في الإمارات

اتجاهات
محبة هبة

هبة المهندس الإعلامية المعروفة كانت محل احتفاء مواقع التواصل الاجتماعي عقب عودتها من رحلة استشفاء. عدد من المنشورات تضامنت مع هبة في محنتها، وأعيد نشر عدد من مقاطع تقديمها لبرنامج (مساء جديد) برفقة زميلها الطيب عبدالماجد..

أفراح
آل الدقير وآل أبو شعيرة

وآل عمر موسى وآل الجزولي أحمد علي
وزعوا رقاع الدعوة لحضور عقد قران دكتورة هبة هاشم الدقير ودكتور متوكل
وذلك يوم الجمعة القادمة بالقاهرة.
التهاني والتبريكات من أسرة أفق جديد.

معضله الفضائيات

لا يزال قرار خالد الإعيسر، وزير الإعلام السابق، بحظر عمل مراسلي الفضائيات في بورتسودان إلا بعد إذن من السلطات ساريًا، رغم تذمر المراسلين. كان من المتوقع من رئيس الوزراء الجديد، إلغاء القرار المقيد لحرية الإعلام وهو القادم من بريطانيا وله علاقة وثيقة بعدد من أهل السلطة الرابعة أصحاب المواقف المحترمة في حرية الإعلام...

عزة
للأطفال

صدر العدد السابع من مجلة عزة للأطفال، يرأس تحريرها الفنان الكبير شرحبيل أحمد، وتهتم المجلة بربط الأطفال السودانيين ببلادهم وبتراثها.

الذكرى الرابعة لرحيل القدال

مرت في الرابع من يوليو
الذكرى الرابعة لرحيل الشاعر
الكبير محمد طه القدال،
من قصائده التي رددتها فرقة
عقد الجلاد:
وإنت في شوفك تخاتل رفة
الطير والحفيف
وإنت فى خوفك تكاتل عينة
الجلبت خريف
وإنت فى لالوبة مصلبة البنيات
النسيمات الهفيف
وإنت فى لالوبة مشنقة
ا لو ليد ا ت
ناس نجومي ومحبس النفس
الرهيف
بطنك كرشت غي البنات نافي
دقنك حمست جلدك خرش
ما في
وقت الوهم نافيت.. صدق الوعد
جافى
وكت العلم جافيت.. مر الصدق
وافي

«لسنا وحدنا»..
لحظة إنسانية تخترق صخب الملاعب

ملخص

نيو أورليانز – أفق جديد

في لحظة غير متوقعة، خطف ذو القرنين كوامي نانتامبو، البالغ من العمر 41 عامًا من مدينة نيو أورلينز، الأضواء من واحد من أضخم العروض التلفزيونية في العالم – عرض ما بين الشوطين في مباراة سوبر بول LIX – عندما رفع علمًا يحمل عبارة «السودان وغزة الحرة» وسط أداء مغني الراب الأمريكي كندريك لامار، ليحوّل الملعب إلى منصة تضامن مع قضيتين من أكثر القضايا الإنسانية تعقيدًا في العالم.

ورغم حصول نانتامبو على إذن رسمي بالتواجد ضمن فريق الأداء في «Caesars Superdome»، إلا أن شرطة ولاية لويزيانا أعلنت لاحقًا أنه «انحرف عن الدور المخصص له» بعد أن قفز فوق سيارة ضمن عناصر العرض ولوّح بالعلمين السوداني والفلسطيني، قبل أن يركض عبر الملعب ويتم توقيفه من قِبل رجال الأمن ببدلات رسمية.

ورغم أن شرطة نيو أورليانز لم توجه له تهمًا في البداية، أعلنت شرطة ولاية لويزيانا لاحقًا توجيه تهمتي مقاومة ضابط وإخلال بالنظام العام، بعد أن سلّم نفسه طوعًا في وقت لاحق، ليتم احتجازه في مركز العدالة بأبرشية أورليانز.

«أردت أن يعرفوا أننا نراهم»

في حديثه لصحيفة العربي الجديد (النسخة الإنجليزية) ، أوضح ذو القرنين دوافعه، قائلًا: «أردتُ أن أعطي رسالة مفادها أن الفلسطينيين والسودانيين مرئيون، وأننا نتضامن معهم على أعلى المنصات».

وأضاف: «ما فعلته كان بدافع الحب، والتعبير، والتضامن، لا من أجل الفوضى أو التحدي. كانت رسالتي بسيطة: نحن واحد».

ينتمي ذو القرنين لمجتمع متنوع في نيو أورليانز، وتربطه علاقات وثيقة بالجاليتين الفلسطينية والسودانية. وقد أشار إلى أن روايات الأصدقاء والمعارف حول المعاناة في غزة ودارفور أثّرت فيه بشدة، ودفعته إلى القيام بهذه الخطوة الرمزية.

لم تكن المظاهرة مرتجلة. فقد صمّم ذو القرنين اللافتة بنفسه، وتدرّب لأسبوعين على إخفائها وإخراجها في الوقت المناسب، مع حرصه على ألا يُعطّل العرض أو يُلحق الضرر بأداء كندريك لامار.

يقول: «أردتُ أن يبدو الأمر جزءًا من العرض... ويضيف بابتسامة: «ندمي الوحيد؟ ليتني ركضتُ أطول قليلًا».

رابطة دوري كرة القدم الأمريكية (NFL) سارعت إلى إدانة الحادث، ووصفت محاولة المقاطعة بأنها «انتهاك خطير»، وأعلنت منع نانتامبو من حضور أي فعاليات مستقبلية للدوري مدى الحياة، رغم عدم تأكيد المتظاهر تلقيه أي إخطار رسمي بذلك.

وأكدت الشرطة أن نانتامبو تجاوز منطقة أمنية حساسة خلال العرض، ما جعل الواقعة تأخذ طابعًا أكثر جدية. وأثنت الـNFL على «احترافية» قوات الشرطة، متعهدة بمنع تكرار مثل هذه الحوادث.

وبينما أثارت الواقعة جدلًا بين مؤيدين اعتبروها لفتة شجاعة، وآخرين رأوا فيها خرقًا للأمن والنظام، يواصل ذو القرنين الدفاع عن موقفه.

فهو الآن يستخدم منصته الشخصية ومبيعات المنتجات الفنية التي يصممها لتمويل مشاريع خيرية في غزة ودارفور، من بينها شراء شاحنات مياه، توزيع مواد غذائية، وإرسال خيام للنازحين.

وختم نانتامبو حديثه قائلًا:

«ربما خرجتُ من الملعب، لكنني دخلتُ قلوب كثيرين. من كان بحاجة لرؤية هذه الرسالة، رآها. وهذا يكفيني.»